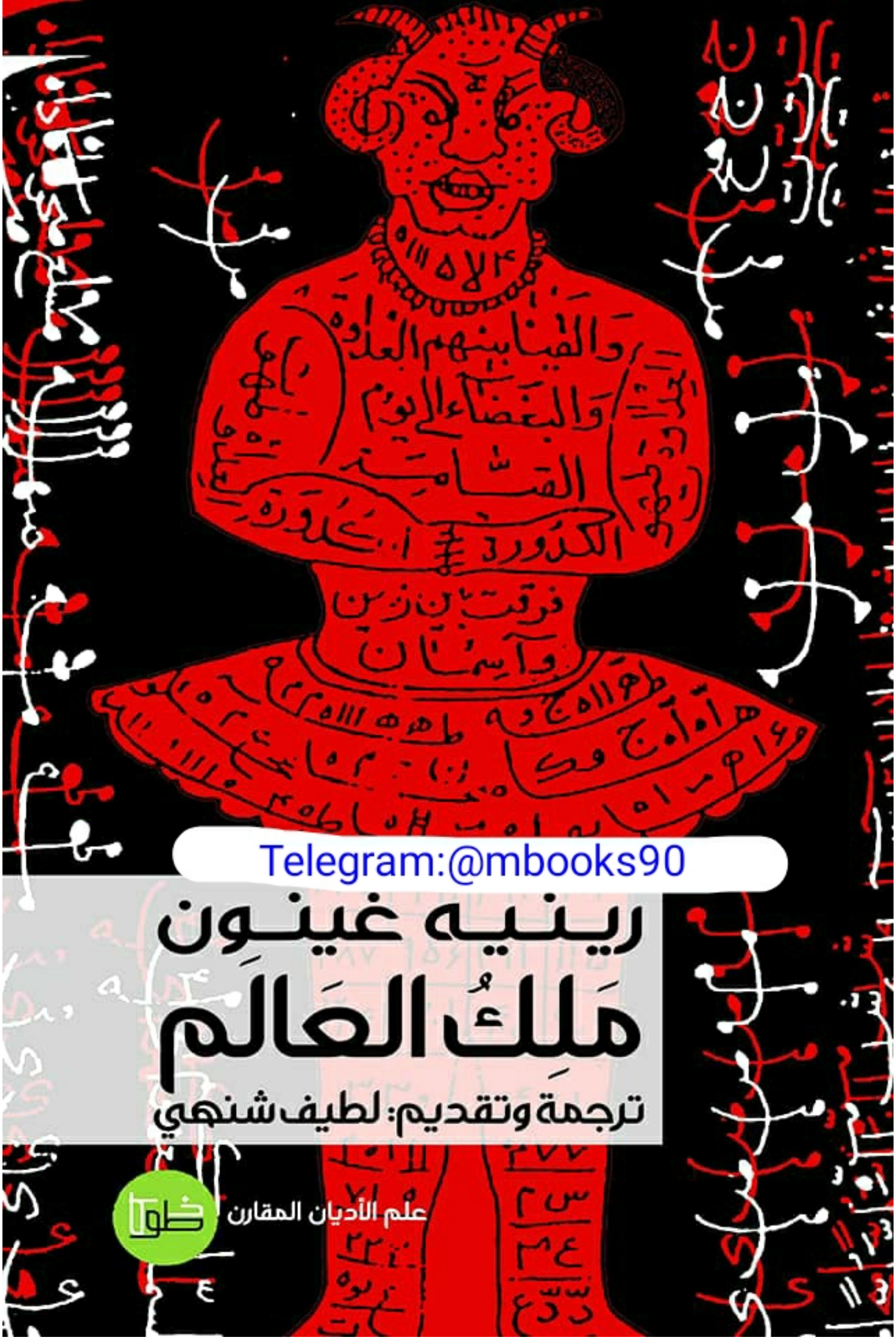

Telegram:@mbooks90

رينيه غينون

مَلِكُ العَالَم

ترجمة وتقديم: لطيف شنهي

علم الأديان المقارن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطوط وظلال
للنشــر والتـوزيـع

الأردن، عمّان، جبل الحسين، بناية (20)
تلفون: 5746218 79 +962 - 4651846 6 +962
email: dar5otot@gmail.com
ص.ب: 11190، عمّـان 925220 الأردن

مَلِكُ العَالَم - رينيه غينون
ترجمة: لطيف شنهي - قص - الطبعة الأولى، ٢٠٢١

جميع الحقوق محفوظة ©

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي:

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the Publisher

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٦٧٣٥/ ١٢/ ٢٠٢١)

٢٠١,٦
غينون، رينيه
ملك العالم / رينيه غينون، ترجمة لطيف شنهي
.ـ عمان: خطوط وظلال للنشر والتوزيع ٢٠٢١
(١١٦) صفحة
ر.إ.: (٦٧٣٥/ ١٢/ ٢٠٢١)
الواصفات: /الديانات//علم الاديان المقارن//الفلسفة الغربية//الرومانية الاسلامية//فلسفة الأديان/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الرقم المعياري الدولي: ISBN: 978-9923-40-497-3

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

ملك العالم، أو وحدة الرّوح كونيًا

يُمثّل «رينيه غينون» ((1)) حلقة وصل مهمّة بين الفكر الغربيّ الحديث والتّجارب الرّوحيّة الشّرقيّة التي تمتدّ جذورها في أحقاب تاريخيّة لا يمكن تحديدها إلا على وجه التّقدير. ولا تكمن أهمّية هذه «الحلقة» في إشباع نهم الغربيّين إلى التّعرّف إلى كلّ ما هو غريب وعجيب فحسب، بل في المعرفة الواسعة والعميقة التي تبسطها أمامه، لا سيما المعرفة المتعلّقة بهذا المسار الرّوحيّ الذي بدأ في الهند في لحظة تاريخيّة موغلة في القدم. وقد أفضى انتقال هذه المعرفة، التي ظلّت غائبة عن منظور الفكر الغربيّ لمدّة طويلة، إلى تحوّلات عميقة زعزعت بنيته المنطقيّة ومركزيّته العقليّة. وترتّبت عنها آثار لم تقتصر على مجال الأديان والتّفكير الدّينيّ، بل امتدّت إلى مجالات فكريّة وفنّيّة كثيرة. والواقع أنّ القلّة القليلة من العارفين بقيمة هذا المفكّر الفرنسيّ، ومنها من اختصّ بترجمة مؤلّفاته ((2))، لم تتجاوز محيط الرّؤية الدّينيّة أو الرّوحيّة الخاصّة بهذه التّجربة الفريدة، ولم تتبيّن مكانة هذه الأفكار في مجال الفنّ، وفي مجال الأدب على نحو خاصّ. فها هنا توجد مسارات ومسالك غير مطروقة، لا سيما إنّ المؤثّرات الرّوحيّة لم تكن معزولة عن الظّواهر الفنّيّة المستجدّة في الغرب المعاصر. ومن المرجّح، بالنّسبة إلينا، أنّ الدّافع إلى تخطّي النّظر فيها لم يكن معرفيًا دائما كما يبدو ظاهريًا، بل منهجيًا بالأساس، لأنّ نصوص الأدب والإنتاجات الفنّيّة الأخرى في العصر الذي سطع فيه نجم «غينون» سيطرت عليها «البنيويّة» التي سيّجت النّصّ وأحكمت إغلاق العمل الفنّيّ على ذاته. وهكذا لم يفضِ تحليلها إلى ربطها بنصوص أو أعمال فنّيّة سابقة تولّدت عنها أو أثّرت في تكوينها وانبعاثها.

Telegram: @mbooks90

وقد قادنا مسارُ اهتمامنا بالآداب المعاصرة، عربيّها وغربيّها، إلى ملاحظة تشكيلات رمزيّة معقّدة ذات مؤثّرات متنوّعة، بدت لنا في حينها غامضة ما جعلنا نلحقها بنزعات التّجريب وبسِمات الغموض والإبهام. أليس غموض النّصّ الشّعريّ المعاصر قائما في تلك التّشكيلات العدديّة واللّونيّة الغريبة والاستعارات المغلقة التي تمتدّ أمشاجها في أنماط الفكر البشريّ العليا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألم يقتصر نظرنا في النّقطة والدّائرة والمثلّث والمربع والمكعّب وبقيّة الأشكال الصّوريّة الأخرى على حدود الفكر الرّياضيّ والهندسيّ، فلم نُولها ما تستحقّ من التّأويل الذي ينقطع بها عن القراءات السّطحيّة؟ هل تمثّلنا أبعاد هذه الصّور، وقد حفل بها الأدب والفنّ وجَعَلاَها من عناصر صوغ فنونهما وموادّها، بل صار بعضها عنوان مدارس فنّيّة بارزة، لعلّ من أشهرها المدرستين «السّرياليّة» و«التّكعيبيّة»؟ ما دلالات هذه الأطياف اللّونيّة التي عبّرت عنها أحجار «الياقوت» و«الجاد» و«الجَمَشتِ» و«الفيروز» و«الزّمرّد»، وعبّر عنها «قوس قزح» و«الفجر القطبيّ» وحفلت بها نصوص «فيكتور سيغالان» Victor Segalen (1878-1919) و«بول كلوديل» Paul Claudel (1868-1955) و«سان جون بيرس» Saint-John Perse (1887-1975) وكلّ كتابات الشّاعر التّونسيّ محمّد الخالدي؟ ألم يكن هؤلاء فرسان الألوية البيضاء الذين نزعوا فتائل الأحقاد الحضاريّة وتجاوزوا الصّراعات الإثنيّة وأذابوا الاختلافات بين شعوب الأرض جميعا؟

لقد وجدنا في كتاب «ملك العالم» Le Roi du Monde، وفي كتابات «رينيه غينون» الأخرى، وكذلك في التّفاعلات الثّقافيّة ذات الطّابع الكونيّ التي عبّر عنها الأعلام المذكورون سابقا والتي بلغت أوجَها في النّصف الأوّل من القرن العشرين، إجابات شافية عن هذه الأسئلة وغيرها. ومثّلت، بالنّسبة إلينا، تفسيرا مهمّا لتفكّك العقلانيّة الغربيّة، من شأنه أن يبسّط للمتقبّل العربيّ أسباب ظهور التّجارب الرّوحيّة المعاصرة التي تردّدت أصداؤها في مجالات الشّعر والرّسم والموسيقى، ويضع بين يديه جملة من المفاتيح الضّروريّة لفهم أو تأويل شبكة العوالم الرّمزيّة والخلفيّات الأسطوريّة والرّؤى الخفيّة التي ازدهرت فيها وحفلت بها. وإذ نقدّم هذه التّرجمة إليه، فإنّنا نرمي إلى قراءة جديدة لنشاط ثقافيّ غربيّ مُحيِّر أثّر أيّما تأثير في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة.

ولا شكّ في أنّ مُتتبّع الموجات الثّقافيّة والطّفرات الحضاريّة التي وسمت القرن العشرين خاصّة، من قَبيل الاتّجاهات التّيوصوفيّة والحركات الاجتماعيّة والفكريّة كثورة الطّلاّب في فرنسا، في ماي 68، أو موجة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«العصر الجديد» Le New Age وكذلك النّزعات الموسيقيّة المعاصرة ذات الطّابع الرّوحانيّ التي تتبدّى، على سبيل المثال، في ما يسمّى بـ»موسيقى العصر الجديد» أيضا، أو في مجموعة «البيتلز» The Beatles أو في معزوفات «جون تافينار»(1944-2013) John Tavener أو ترتسم في لوحات «بول أكرمان» (1908-1981) Paul Ackerman؛ ومن بينها لوحة «أغَزطَهَا» ((3))Agartha التي رسمها تحت تأثير «رينيه غينون» نفسه، واجدٌ رابطة خفيّة كانت أم جليّة تعيده إلى هذا المطلب الرّوحيّ المستجدّ الذي بلغ أوجه في هذه اللّحظة التّاريخية التي يمكن أن نصفها بعبارة توفيق الحكيم الشّهيرة «عودة الرّوح».

يُوجد، في المحصّلة، ضرب من الانحراف الحضاريّ الذي يصعب حدوثه على الشّاكلة التي وصفنا لولا انبجاس هذا العقل الغربيّ الجديد، المتجاوز لمادّيته ومركزيّته العقلانيّة، بل لشوفينيّته التي تَمَلّكت فعله السّياسيّ أحيانا، من قبيل استحواذ «النّازيّة» على رمز «الصّليب المعقوف» أحد شعارات الهندوسيّة الذي انتقده «غينون» بشدّة في كتابه «رمزيّة الصّليب»((4)).

والواقع أنّنا لا نرى في الاهتمام المبالغ فيه بالتّحوّلات التي طرأت على المستوى الشّخصيّ لـ»غينون»، خاصّة التّركيز على اعتناقه الدّين الإسلاميّ وانتمائه إلى بعض حلقات الصّوفيّة الإسلاميّة واستبدال اسمه الأصليّ باسم «عبد الواحد يحيى» وزاوجه من ابنة أحد شيوخه وإنجابه منها واستقراره بمصر إلى مماته، إلّا محاولات لمركزة هذه التّجربة في الفضاء الثّقافيّ والحضاريّ الذي آل إليه مسارها الرّوحيّ الطّويل بدءا بالمسيحيّة فالماسونيّة والبوذيّة انتهاء بالتصوّف على الطّريقة «الشاذليّة». ومن المؤكّد أنّ ترجمة هذا الكتاب، من شأنها أن تكشف عن العمليّة الحضاريّة المهمّة التي كَلّفَ «غينون» نفسه بها، لا سيما هذا البحث عن مشترك إنسانيّ يتمثّل عنده في ما يسمّيه هو بـ»التّقليد البدئيّ»، وهي وضعيّة تستند إليها كلّ الأديان، سواء أكانت وثنيّة أم توحيديّة، دون أيّ استثناء، عبر عمليّة حفر عميقة في عدد غير قليل من اللّغات القديمة، راصدا على نحو خاص المشترك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بينها كما هو الحال في كلمة «فردوس» التي انتقلت من الفضاء الرّوحيّ الهنديّ القديم إلى الفضاء المتوسّطيّ بدءا بـ«باراديش» Paradêsha ثم «باردس» Pardes ثم برادايز Paradise أو بارادي Paradis. وقد ظلّت هذه المفردة، بالرّغم من مسار رحلتها الطّويل مكانا وزمانا معبّرة عن المعنى نفسه، أي «الأرض العلويّة» التي تهفو إليها أنفس المؤمنين والسّالكين على مرّ العصور. ولا يُغنينا هذا المثال، في الواقع، عن المعطيات الأخرى الكثيرة التي حفل بها الكتاب، والتي لم يكن يرمي من خلالها إلى «تأريخ الرّوح» فحسب، بل كان يبسط أمامنا هذه الأمشاج المعنويّة المتشابكة التي لا يمكن الخروج منها إلا بحقيقة واحدة هي: وحدة الرّوح كونيّا، ووحدة المصير الإنسانيّ.

ويناقش «غينون»، في هذا الكتاب، مفهوم «التّقليد البدئيّ» La Tradition Primordiale، باعتباره أصل كلّ التّقاليد الدينيّة في العالم، التي مهما اختلفت في الظّاهر، فإنّها تسعى إلى الحقيقة نفسها، أي إلى هذا الهدف النّهائيّ من الوجود البشريّ الذي يتمثّل في التّوحيد وإدراك ماهية الهويّة المتعالية التي تتحكّم في مصيره وتضبط مختلف وجوهه، وبلوغ هذه الحالة الرّوحيّة الأصليّة التي فقدها الانسان باستبعاده من الفردوس، وظلّ يبحث عنها مستعينا بمعارف منزّلة أو بتعاليم روحيّة خاصّة. ويشير، أيضا، إلى هذا «الملك» الغامض الذي يَرعى الشّؤون الرّوحيّة للبشر، ويحتفظ بهذا «التّقليد» في أرض «أَغَرطَهَا» التي يتعذّر على العاديّين بلوغها. وتُعتبر هذه الأرض مستودعا عالميّا للمعرفة المتعالية والقوى الخارقة للطّبيعة، يسودها السّلام وتنتفي فيها كلّ مظاهر العنف. ولم يمنع غموض وضعيّة هذه الأرض من بروز مقاربات مختلفة تربط بينها وبين مدن أخرى ذات طابع مقدّس، من قبيل: «لاسّا» Lhassa، مركز «اللّاميّة»، أو «روما» أو «القدس» أو «مكّة». ولا شكّ في أنّ ظهور هذه المدن في أحقاب تاريخيّة معيّنة وطبيعة المواقع التي أقيمت فيها لم يكن أمرا اعتباطيّا، بل أمرا محدّدا بقوانين دقيقة جدّا، جعلت منها مراكز مهمّة سيّرت الشّأن الرّوحيّ للبشر في مناطق واسعة من الأرض. ومن المزاعم التي بُنِيَ عليها متصوّر «أغرطها» ارتباط هذه الأرض بمناطق سريّة عبر أنفاق وممرّات خفيّة لا يدركها إلّا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرّاسخون في المعرفة والمهيّؤون لتقبّلها ضمن نظام مُسارِّيّ دقيق من مثل النّظام المُسارّيّ الصّوفيّ الإسلاميّ الذي انتمى إليه «غينون» في نهاية رحلته الرّوحيّة الطّويلة. ومن بين الرّوابط الطّريفة التي أشار إليها في أحد فصول كتابه، قصّة «الحجر الأسود» الذي أرسله «ملك العالم» إلى «الدّالاي لاما» قبل أن يظهر مرّة أخرى في «أورغا» في «منغوليا» ثمّ في «مكّة» أخيرا.

ولا بدّ أن نشير في ختام هذا التّقديم إلى أنّ الدّواعي التي دفعتنا إلى ترجمة هذا الكتاب هي بالأساس دواع فنّية أدبيّة، ذكرنا بعضها سابقا، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى الرّهانات التي نرمي إليها من ورائها، وهي تتلخّص في إعادة النّظر في مسارات فكريّة وروحيّة غير مطروقة أثّرت في تكوين العقل الغربيّ المعاصر، وأفضت إلى بروز اتّجاهات فنّية وأدبيّة جديدة، بدءا بالرّومنطيقيّة وانتهاء بالعرفانيّة((5)). وبالنّظر في مدى تأثّر الأدب العربيّ الحديث بها، بل تبعيّته المفرطة لها، تبدو لنا العودة إلى هذه العوامل أمرا ضروريّا لفهم الأسباب العميقة لظهور تيّارات فكريّة وأدبيّة عربيّة، إلّا أنّ هذا المسار الخفيّ يحتاج، في الواقع، إلى مزيد من التّعميق، نرجو أن تكون هذه التّرجمة فاتحة له.

المترجم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل الأوّل

تصوّرات غربيّة حول «الأغَزطَهَا»((6))

يتضمّن آخر أعمال «سان ـ إيف دلفيدير»((7))، «مهمّة إلى الهند» Mission de l'Inde ، المنشور في 1910((8))، وصفا لمركزٍ روحيّ غامض يُعرف باسم «أغَزطَهَا» جعل أغلبَ قرّاء هذا الكتاب يتمسّك بفرضيّة أن يكون مجرّد قصّ خياليّ وضربا من التّخييل الذي لا صلة له بالواقع. وتوجد، في الواقع، إذا أردنا قراءته على نحو حَزفيّ، مفارقاتٌ قد تبرّر هذا الحكم، على الأقلّ بالنّسبة إلى أولئك الذين يتمسّكون بالمظاهر الخارجيّة؛ ولا شكّ في أنّ «سان ـ إيف» يملك من الأسباب الوجيهة ما منعه من نشر هذا العمل بنفسه، وقد كتبه منذ مدّة طويلة جدّا ولم يضع له حدّا زمنيّا فعليّا. ولا نجد، من جهة أخرى، ذكرا «للأغرطها» وزعيمها و«البراهماتما»((9)) في أوروبا، إلى حدّ الآن، إلّا في ما أورده «لويس جاكوليو»((10))، وهو كاتب غير جادّ ولا يمكن التّذرّع بحجيّته؛ ونعتقد، من جهتنا، أنّه سمع عن هذه الأمور أثناء إقامته في الهند، غير أنّه رتّبها بطريقته الخياليّة البارزة كما كان يفعل مع أيّ أمر آخر. لكن حدث طارئ لم يكن منتظرا إلى حدّ مّا سنة 1924؛ فكتاب «الوحوش والبشر والآلهة» الذي يتحدّث فيه السّيّد «فرديناند أوسّندوفسكي»((11)) عن مشارف رحلته المشوّقة في سنتي 1920 و1921 عبر آسيا الوسطى، يحتوي على قصص شبيهة بقصص «سان - إيف» تقريبا، خاصّة في الجزء الأخير منه؛ ونعتقد أنّ الضّجة التي صاحبت هذا الكتاب سوف تمكّننا، في نهاية المطاف، من كسر هذا الصّمت المطبق حول مسألة «الأغرطها».

وبالطّبع، لم تتوانَ عقول ريّابة أو خبيثة عن اتّهام السّيّد «أوسّندوفسكي» بسرقة كتاب «سان إيف» سرقة خالصة وبسيطة، وعن الكشف عن كلّ المقاطع المتطابقة في العملين دعما لهذا الادّعاء؛ ففي الواقع، يوجد منها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عدد كبير إلى حدّ التّفاصيل التي تمثّل تشابها غريبا جدّا: يوجد، أوّلا، ما يمكن أن يبدو، عند «سان إيف نفسه، غريبا جدّا، ونعني بذلك التّأكيد على وجود عالم سفليّ تمتدّ فروعه في كلّ مكان، تحت القارّات وحتّى المحيطات، وتنعقد، من خلالها، اتّصالات بين كلّ مناطق الأرض؛ ومع ذلك، فإنّ السّيّد «أوسندوفسكي» لا يأخذ هذا التّأكيد في الاعتبار، بل يصرّح بأنّه لا يعرف ما يفكّر فيه، غير أنّه ينسبه إلى شخصيّات مختلفة التقى بها أثناء سفره. ويوجد، كذلك، في نقاط خاصّة جدّا، الفقرة التي قدّم فيها «ملك العالم» نفسه أمام ضريح سلفه، الذي يتعلّق به أصل البوهيميّين((12)) الذين ربّما عاشوا في «أغرطها» قديما((13))، وغير ذلك كثير. ويقول «سان إيف» هناك أوقات أثناء الاحتفال الدّيماسيّ بـ«الأسرار الكونيّة»، يتوقّف فيها المسافرون في الفيافي وتلوذ فيها الحيوانات نفسها بالصّمت ((14))؛ ويؤكد السّيّد «أوسندوفسكي» أنّه شهد بنفسه إحدى هذه اللّحظات التّأمّليّة الشّاملة. ثمّة في المقام الأول، وبمصادفة غريبة، حكاية عن جزيرة، اختفت اليوم، كان يعيش فيها بشر وحيوان عجيب. ويقتبس «سان إيف»، هنا، ملخّص رحلة «إيمبول» لـ«ديودور الصّقليّ»((15))، بينما يتحدّث السّيّد «أوسندوفسكي» عن رحلة بوذيّ نيباليّ قديم، وبالرّغم من ذلك، فقد كانت أوصافهما متباينة نسبيّا؛ فإذا وجدت نسختان من هذه القصّة متباعدتا المصادر حقّا، فقد يكون، من المثير للاهتمام، العثور عليهما ومقارنتهما بعناية.

لقد حرصنا على الإشارة إلى كلّ هذه المُقاربات، لكنّنا نَودُّ أيضا أن نقول إنّها لا تقنعنا بواقعيّة الانتحال أبدا؛ ومع ذلك، فليس من همّنا، ها هنا، أن ندخل في نقاش لا يعنينا في الأساس كثيرا. وبغضّ النّظر عمّا أخبرنا به السّيّد «أوسندوفسكي» نفسه، فإنّنا نعلم، من مصادر أخرى، أنّ الرّوايات من هذا الجنس المذكور شائعة في منغوليا وكلّ أنحاء آسيا الوسطى؛ وسنضيف، في ما يلي، أنّ هناك شيئا مشابها في التّقاليد الدّينيّة لكلّ الشّعوب تقريبا. ومن ناحية أخرى، إذا كان السّيّد «أوسندوفسكي» قد استنسخ كتاب «مُهمّة إلى الهند» جزئيّا، فإنّنا لا نعرف الكثير عن سبب إغفاله بعض المقاطع المُؤثّرة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا سبب تغييره شكل بعض الكلمات، من قبيل كتابة «أغارتي» Agharti بدل «أغرطها» Agarttha ، التي تفسر، في المقابل، على نحو أفضل ما إذا كان قد حصل، من مصادر منغوليّة، على المعلومات التي حصل عليها «سان إيف» من مصادر هندوسيّة (لأنّنا نعلم أنّه كان على صلة بهندوسيّين على الأقلّ) ((16))؛ ولا نفهم على نحو أفضل لماذا كان سيستخدم عنوان «ملك العالم» الذي لم يستعمله «سان -إيف» في أيّ موقع، لتعيين زعيم التّنظيم المُسارّيّ((17)). وحتّى لو اعتمدنا على بعض الاقتباسات، فما يمكن أن نحتفظ به منها هو أنّ السّيّد «أوسّندوفسكي» يذكر أمورا لا نظير لها في كتاب «مهمّة إلى الهند» أحيانا، ومن المؤكّد أنّه لم يستطع تلفيقها، ومن الواضح أنّه لا يقدر على استيعاب المجال الدّقيق بنفسه، لانشغاله بالسّياسة أكثر من انشغاله بالفكر والعقائد، وجهله بكلّ ما يتعلّق بالرّوحانيّات. من ذلك، مثلا، قصّة «الحجر الأسود» الذي أرسله «ملك العالم» إلى «الدّالاي لاما»((18)) في العهود الغابرة، ثم نُقل إلى «أورغا»((19)) في منغوليا، واختفى منذ مائة سنة تقريبا((20))؛ ومع ذلك فإنّ «الأحجار السّوداء» تضطلع بدور مهمّ في العديد من التّعاليم، منذ أن كانت رمزا لـ«كوبيلي»((21)) إلى أن وُضعت في كعبة مكّة((22)). وهذا مثال آخر: يحتفظ «البوغدو خان» ((23))Bogdo Khan أو «البوذا الحيّ» المقيم في «أورغا» من بين أشياء ثمينة أخرى، بخاتم «جنكيز خان»، الذي نقش عليه «سفاستيكا»((24)) وصفيحة نحاسيّة تحمل ختم «ملك العالم»؛ ويبدو أنّ السّيّد «أوسّندوفسكي» لم يكن بإمكانه أن يرى إلّا الأوّل من هذين الشّيئين، وربّما تعذّر عليه تصوّر وجود الثّاني: ألا ينبغي أن يخطر بباله، هنا، الحديث عن صفيحة ذهبيّة؟

إنّ هذا العدد من الملاحظات الأوّليّة المقترح كافٍ، لأنّنا نتطلّع إلى البقاء على الحياد التّامّ عن كلّ سجال وعن كلّ مسألة تتعلّق بالأشخاص؛ فإذا اقتبسنا من السّيّد «أوسندوفسكي»، وكذلك من «سان إيف»، فلأنّ ما قالاه قد يُستخدم نقطةَ انطلاق لمسائل لا تتعلّق بما يمكن أن نفكّر فيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بشأن أحدهما والآخر، ويتجاوز مداها شخصيّتيهما الخاصّتين، وكذلك شخصيّتنا التي لا يجب أن نُبالغ في الاعتماد عليها في هذا المجال. لا نريد أن نستسلم، في ما يتعلّق بأعمالهما، إلى «نقد نصّيّ» لا جدوى منه، لكن نريد، بدل ذلك، تقديم توضيحات لم تُقترح بعدُ في أيّ مكان على حدّ علمنا على الأقلّ، وقد تُساعد، في شروط معيّنة، على رفع اللّبس عمّا يُسمّيه السّيّد «أوسّندوفسكي» بـ«سرّ الأسرار»((25)).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم
الفصل الثاني
المَلَكيّة والحَبريّة

يُطابق لقب «ملك العالم»، في دلالته الأسمى والأكمل، والأدقّ أيضا، «مانو»((26)) على وجه التّحديد، باعتباره المشرّع الأصليّ والكونيّ، الذي يتبدّى اسمه في أشكال متنوّعة، وبين عدد من الشّعوب القديمة كثير؛ فحسبك أن نتذكّر، في هذا الصّدد، «المينا» أو «الميناس» الفرعونيّ((27))، و«مينو» السّالتيّ((28)) و«مينوس» الإغريقيّ((29)). ومع ذلك، فإنّ هذا الاسم لا يُعيّن، إلى حدّ مّا، أيّة شخصيّة تاريخيّة، أو أسطوريّة؛ لأنّ ما يُعيّنه، في الواقع، إنّما هو مبدأ، أي العقل الكونيّ الذي يعكس النّور الرّوحيّ الخالص والذي يصوغ «القانون» (الدّارما((30))) المُناسب لشروط عالمنا ودورة وجودنا؛ وهو، في الوقت نفسه، النّمط الأصليّ للإنسان باعتباره كائنا مفكّرا (مانافا Mânava في السّنسكريتيّة).

ومن ناحية أخرى، ينبغي أن نلاحظ، هنا، أنّ هذا المبدأ يمكن أن يتجلّى من خلال مركز روحيّ قائم في العام الأرضيّ، من قِبَل منظمّة مُكلّفة بالحفاظ على تراث التّقليد المقدّس والأصل «اللّابشريّ» (أبوروشيا Apaurushêya) اللّذين يتمّ، من خلالهما، وصل الحكمة الأولى عبر العصور بأولئك المُهيّئين لتلقّيها. ويمكن أن يحمل زعيم منظّمة من هذا القبيل، يُمثّل على نحو مّا «مانو» نفسه، لقبها وصفاتها بطريقة شرعيّة؛ وحتّى من خلال درجة المعرفة التي يجب أن يكتسبها ليتمكّن من القيام بوظيفته، فإنّه يتطابق، حقّا، مع المبدأ الذي يكون بالنّسبة إليه كالعبارة البشريّة، التي تختفي أمامها فرديّته. تلك هي حالة «أغارطا» بالضّبط، إذا كانَ هذا المركز قد جمع، كما أشار «سان-إيف»، تراث «السّلالة الشّمسيّة» القديمة (سوريا فانشا Sûrya-vansha) التي أقيمت في «أيوديا»((31)) قديما، والتي تعود أصولها إلى «في-فاصواطا»((32))، «مانو» الدّورة الحاليّة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكنّ «سان-إيف»، كما قلنا سابقا، لا يَعتبر زعيم «الأغرطها» الأعلى «ملك العالم»؛ إذ يقدّمه باعتباره «حَبرا أعظم»، كما يضعه على رأس «كنيسة براهمانيّة»، وهي تسمية تستند إلى تصوّر غربيّ مبالغ فيه ((33)). وبغضّ النّظر عن هذا الاعتبار الأخير، فإنّ ما يقوله، في هذا الصّدد، يُكمّل ما ذكره السّيّد «أوسّندوفسكي» من جهته؛ إذ يبدو أنّ الواحد منهما لم ير سوى الخاصّيّة التي تُوافق مُيولاته واهتماماته الغالبة مباشرة، لأنّ الأمر، في الحقيقة، يتعلّق هنا بسلطة مزدوجة، كهنوتيّة ومَلَكية في الوقت نفسه. فالخاصية «الحَبريّة» بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، تنتمي إلى زعيم التّنظيم الرّوحيّ على نحو واقعي جدّا وبامتياز، وهو ما يستدعي تفسيرا حرفيّا، إذ «الحبر الأعظم»((34)) هو «بنّاء جسور»، وهذا اللّقب الرّومانيّ في أصله لقب «ماسونيّ»((35)) على نحو معيّن؛ لكنّه، من النّاحية الرّمزيّة، هو الشّخص الذي يشغل وظيفة الوسيط، ويسهر على التّواصل بين هذا العالم والعوالم العليا ((36)). وبهذه الصّفة، فإنّ قوس قزح، «الجسر السّماويّ»، يُعتبر رمزا طبيعيّا للحبريّة؛ وتمنحه التّقاليد جميعا دلالات متطابقة على نحو مثاليّ: وهكذا، فهو، لدى العبريّين، شهادةٌ على العهد بين الله وشعبه؛ وفي الصّين، علامة على اتّحاد الأرض بالسّماء؛ وفي اليونان، يُمثّل «إيريس»((37)) «رسول الآلهة»؛ ففي كلّ مكان تقريبا، لدى الإسكندنافيّين وكذلك الفرس والعرب، وفي إفريقيا الوسطى وحتّى لدى بعض الشّعوب الأمريكيّة الشّماليّة، يمثّل الجسر الذي يربط العالم المحسوس بالعالم المتعالي عن الحسّ.

ومن ناحية أخرى، مُثّل اتّحاد السّلطتين الكهنوتيّة والمَلَكيّة، لدى اللاّتينيّين، بضرب من الخصائص الرّمزيّة «الجانوسيّة»((38))، وهي رمزيّة معقّدة جدّا وذات دلالات متعدّدة؛ ومثّل المفتاحان الذّهبيّ والفضّيّ وجهين لطقسيّ مُسارّة ((39)) متطابقين، في كنف العلاقة نفسها ((40)). ويتعلّق الأمر، بناء على المصطلحات الهندوسيّة، بطريق البراهمانيّين وطريق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكشاتريائيين((41))؛ ولكن في رأس الترتيب، نجد أنفسنا في مواجهة المبدأ المشترك الذي يستمدّ منه كلاهما صلاحياته الخاصّة، وبالتالي خارج نطاق التّمييز بينهما، لأنّ في ذلك مصدر كلّ سلطة شرعيّة، مهما يكن مجالها؛ أمّا مريدو «الأغرطها»، فهم «أتيفارنا» Ativarna، أي «ما وراء الطّوائف»((42)).

وتوجد، في القرون الوسطى، عبارة يتهيّأ فيها وجها السّلطة مُتكاملين، متّحدين على نحو جدير بالملاحظة: فغالبا ما كان الحديث يدور، في هذه الحقبة، حول بلد غامض يسمّى «مملكة القسّيس يوحنّا»، وهي الحقبة التي تشكّل فيها، إلى حدّ كبير، ما يُمكن تسميته بـ«الغلاف الخارجيّ» للمركز، من قِبَل «النّسطوريّين» ((43)) (أو ما أصبح يسمّى هكذا على وجه الخطأ) والصّابئة ((44))، وبالأخصّ هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم «مندائيي يحيى»((45))، أي «أتباع يوحنّا». ويُمكننا أن نقدّم، في هذا الصّدد، الملاحظة التّالية: فمن الغريب، على الأقل، أن يتّسم عدد مرتفع من الجماعات الشّرقيّة بطابع منغلق جدّا. وقد اتّخذ «الإسماعيليّون» وأتباع «شيخ الجبل»((46)) والدّروز في لبنان جميعا لقب «حرّاس الأرض المقدّسة» مثل «أوامر» الفرسان الغربيين. ولا شكّ في أنّ ما يلي سيُيسّر فهم ما يمكن أن يعنيه هذا الكلام؛ إذ يبدو أنّ «سان-إيف» وجد كلمة مناسبة جدّا، وربّما أكثر ممّا كان يعتقد، عندما تحدّث عن «فرسان الأغرطها». وحتّى لا يُفاجأ المرء من عبارة «الغطاء الخارجيّ» التي استخدمناها سابقا، سنُضيف أنّه ينبغي عليه أن يُراعي أنّ إعداد الفرسان، في أصله، مُسارّة «كشاتريائيّة»؛ وهو ما يفسّر، من بين أشياء أخرى، الدّور المهيمن الذي تضطلع به رمزيّة «الحبّ»((47)).

وبغضّ النّظر عن هذه الاعتبارات الأخيرة، فإنّ فكرة وجود شخصيّة تجمع بين الكاهن والملك لم تكن فكرة شائعة جدّا في الغرب، بالرّغم من وجودها في أصل المسيحيّة نفسه، ممثّلة بطريقة مذهلة من جهة «ملوك المجوس»؛ وحتّى في القرون الوسطى، قسّمت السّلطة العليا (على الأقل،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حسب المظاهر الخارجية) بين البابويّة والإمبراطوريّة ((48)). ويمكن اعتبار فصل من هذا القبيل علامة لمنظمة بلا رأس. وإذا كان بإمكاننا أن نعبّر عنها على هذا النّحو، فلأنّنا لا نرى تجلّي المبدأ المشترك الذي تنبني عليه السّلطتان وتعتمدان عليه بانتظام؛ إذن، ينبغي على المرء أن يبحث عن السّلطة العليا الحقيقيّة في مكان آخر. وعلى العكس من ذلك، فإنّ التّمسّك بمثل هذا الفصل في قمّة التّرتيب الهرميّ نفسها يمثّل أمرا استثنائيّا جدّا، ولا يكاد يوجد إلا في بعض التّصوّرات البوذيّة التي نجد فيها بعض الأشياء من هذا النّوع؛ نريد أن نلمّح إلى التّنازع المعلن بين وظيفة «بوذا» ووظيفة «شاكرافارتي» Chakravartî أو «السّلطان الكونيّ»((49))، عندما يقال إنّ على «شاكياموني» ((50))Shakyamuni أن يختار، في لحظة مّا، بين هذه أو تلك.

وينبغي أن نضيف أنّ مصطلح «شاكرافارتي» Chakravartî، الذي لا يحيل في شيء على بوذا، ينطبق تماما على «مانو» أو مُمثّليه، بناء على معطيات التّقليد الهندوسيّ: إنّه، حرفيّا، «الشّخص الذي يُدير العجلة»، أي المُتمركز في وسط الأشياء جميعا، ويوجّه حركتها ولا يشارك فيها بنفسه، أو «المحرّك السّاكن» حسب عبارة أرسطو ((51)).

ونلفت الانتباه إلى ما يلي على نحو خاصّ: إنّ المركز المعنيّ هو النّقطة الثّابتة التي تتّفق التّعاليم جميعا على تسميتها رمزيّا بـ»القطب»، بما أنّ العالم، الذي تمثّله العجلة لدى «السّالتيّين» وكذلك «الكلدانيّين» والهندوس» عموما ((52))، يدور حولها. تلك هي الدّلالة الحقيقة للصّليب المعقوف، هذه العلامة التي نجدها منتشرة في كلّ مكان من أقصى الشّرق إلى أقصى الغرب ((53))، والتي هي في الأساس «علامة القطب»؛ ولا شكّ في كونها المرّة الأولى التي يتمّ التّعريف فيها بمعناها الحقيقيّ هنا في أوروبا الحديثة. وفي الواقع، لقد سعى العلماء المعاصرون عبثا إلى تفسير هذا الرّمز بأكثر النّظريّات خيالا؛ فأغلبهم، وهو مسكون بضرب من الأفكار الجامدة، أراد أن يرى، كما هو الحال في أيّ مكان آخر، علامة «شمسيّة»((54)) خالصة، بينما إذا حدث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك أحيانا، فلا يمكن أن يكون إلّا عرضيّا وبطريقة ملتوية. وكان آخرون أقرب إلى الحقيقة وهم ينظرون إلى «الصّليب المعقوف» رمزا للحركة؛ غير أنّ هذا التّمثّل، دون أن يكون خاطئا، غير كاف جدّا، لأنّ الأمر لا يتعلّق بحركة غير محدّدة، بل بحركة دوران تكتمل في محيط مركز أو محور ثابت؛ ونعيد القول إنّ النّقطة الثّابتة هي العنصر الجوهريّ الذي يرتبط به الرّمز المعنيّ مباشرة ((55)).

وفعلا، يُمكن أن نفهم، ممّا ذكرناه توّا، ضرورة أن تكون لـ«ملك العالم» وظيفة تنظيميّة تعديليّة (وسنلاحظ أن هذه الكلمة الأخيرة [تعديليّة régulatrice] تحمل المعنى نفسه في الجذرين: rex و((56))regere وليس ذلك بلا سبب)، يمكن تلخيصها في كلمة من قبيل «التّوازن» أو «التّناغم»؛ إنّه المعنى الاصطلاحيّ لكلمة «دارما» ((57)) Dharma في السّنسكريتيّة بالضّبط: وهو يعكس ثبات المبدأ الأسمى في العالم الظّاهر. ويمكننا أن نفهم أيضا، من خلال الاعتبارات نفسها، لماذا يتمتّع «ملك العالم» بصفتين أساسيّتين «العدل» و«السّلام»، اللّتين لم تكونا إلا الشّكلين اللّذين يغطّيهما هذا التّوازن وهذا التّناغم في «عالم البشر» (المنافا-لوكا Mânava-loka))((58)). وتوجد، هنا، نقطة أخرى ذات أهمّيّة كبرى؛ فبالإضافة إلى مجالها العام، فإنّنا ننبّه بها على أولئك الذين ينغمسون في ضرب من الهواجس الوهميّة، ومنها، أيضا، ما ظهر صداه في سطور كتاب السيّد «أوسندوفسكي» الأخيرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل الثالث

الشّكيناه والميتاترون((59))

فزِعت عقول متوجّسة، وجدت نفسها مقيّدة، على نحو غريب، بأفكار مسبقة، من اسم «ملك العالم» في ذاته، وقارنته باسم «قائد العالم» Princeps huius mundi الوارد في الإنجيل. ومن المؤكّد أنّ مماثلة من هذا القبيل خاطئة تماما ولا أساس لها من الصّحّة؛ ولكي نستبعدها، يمكن أن نقتصر على إشارة بسيطة تتمثّل في شيوع إسناد هذا العنوان: «ملك العالم»، إلى الله نفسه ((60)) في العبريّة والعربيّة. وسنقلّب، في هذا الصّدد، نظريّات «القَبالة» Kabbale العبريّة المتعلّقة بـ«الوسطاء السّماويّين»، فضلا عن علاقتها المباشرة بموضوع هذه الدّراسة الرّئيسيّ، وهو ما يمكن أن يكون فرصة لإبداء بعض الملاحظات المثيرة للاهتمام.

إنّ «الوسطاء السّماويّين» المعنيّين هما «الشّكيناه» و«الميتاترون»؛ وسنصرّح، أولا، بأنّ «الشّكيناه» تعني بصفة عامة «الحضور الواقعيّ» للألوهيّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ المقاطع «الكتابيّة» المذكورة على نحو خاصّ هي المتعلّقة بتأسيس مركز روحيّ: بناء «خيمة الاجتماع» Tabernacle وإنشاء هيكلي «سليمان» و«برج بابل». وينبغي، في الواقع، أن يكون مثل هذا المركز الذي بُني في ظروف إجرائيّة معيّنة مكانَ التّجلّي الإلهيّ، الذي يتمّ تمثيله بـ«النّور» دائما؛ ومن الغريب أن نلاحظ أنّ عبارة «مكان نورانيّ ومنظّم جدّا»، التي احتفظت بها الماسونيّة، تبدو كذكرى من الكَهانة القديمة التي كانت تشرف على بناء الهياكل الذي لم يختصّ به اليهود أيضا؛ وسنعود إلى ما سبق ذكره في ما بعد. ولا يتعيّن علينا الخوض في تطوّر نظريّة «المؤثّرات الرّوحيّة» (نفضّل هذه العبارة على كلمة «بركات» لترجمة الكلمة العبرية Berakoth، لا سيما إنّ المعنى، هنا، قد احتفظت به كلمة «بركة» العربيّة على نحو واضح جدّا)؛ ولكن حتّى لو اقتصرنا على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النّظر في الأمور من هذه الوجهة فحسب، فإنّه يمكن تفسير قول «إلياس لو-فيتا((61)) الذي نقله السّيّد «فيليود»((62)) في عمله حول «القَبالة» اليهوديّة: «أسياد القَبالة يتمتّعون في هذا الموضوع بأسرار عظيمة.»

وتتهيّأ «الشّكيناه» في جوانب متعدّدة، من بينها جانبان رئيسيّان، أحدهما داخليّ، والآخر خارجيّ؛ ومن ناحية أخرى، توجد جملة في التّقليد المسيحيّ تشير بوضوح تامّ إلى هذين الجانبين: «المجد للرّبّ في السّماوات العليا، والسّلام للنّاس الذين يحبّهم على الأرض»((63)). وتشير الكلمتان «المجد» Gloria والسّلام Pax على التّوالي إلى الجانب الدّاخليّ، في علاقته بالمبدأ، وإلى الجانب الخارجيّ، في علاقته بالعالم الظّاهر؛ وإذا أخذنا هذه الكلمات في الاعتبار كما هي، يمكننا أن نفهم على الفور سبب نطق الملائكة بها للإعلان عن ولادة «الله معنا» أو «الله فينا» (عمانوئيل)((64)). أمّا في ما يخصّ الجانب الأول، فيمكننا، أيضا، أن نتذكّر نظريّات اللاهوتيين حول «نور المجد» الذي تجري فيه وبه الرّؤيا التّطويبيّة ((65)) (في السّماوات العليا)؛ وأمّا بالنّسبة إلى الجانب الثّاني، فها هنا نجد «السّلام»، الذي أشرنا إليه منذ قليل، والذي ورد، بمعناه الباطني، في كلّ مكان باعتباره إحدى السّمات الأساسيّة للمراكز الرّوحيّة القائمة في هذا العالم (in terra= في الأرض). وكذلك يُترجم المصطلح العربيّ «سكينة»، الذي يتطابق مع «الشّكيناه» العبريّة بوضوح، بـ»السّلام العظيم»، وهو المعادل الدّقيق لـ»السّلام العميق» Pax Profunda عند جماعات «الصّليب الورديّ»؛ ولا شكّ في أنّه يمكننا، من هنا، أن نفسّر ما يعنيه هؤلاء بـ»هيكل الرّوح القدس»، كما يمكننا، أيضا، أن نفهم على نحو دقيق النّصوص الإنجيليّة الكثيرة التي جرى فيها الحديث عن «السّلام»((66))، لا سيما إنّ «التّقليد السرّيّ المتّصل بـ»الشّكيناه» قد يتعلّق بنور المسيح». ألم يتعمّد السّيّد «فيليود»، عندما قدّم هذه الإشارة الأخيرة ((67))، أن يقول إنّ الأمر يتعلّق بالتّقليد «المخصّص لأولئك الذين يسلكون الطّريق التي تؤدّي إلى «الفردوس» Pardes»، أي إلى المركز الرّوحيّ الأعلى كما سنرى لاحقا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويفضي هذا، أيضا، إلى ملاحظة أخرى ذات صلة: فالسيّد «فيليود» يتحدّث، بعد ذلك، عن «سرّ متعلّق باليوبيل ((68))»، وهو يقترن معنويّا بفكرة السّلام. ويقتبس، في هذا الصّدد، هذا النّصّ من «الزّوهار» (III، 58): «يحمل النّهر الذي يخرج من عدن اسم يوبيل Jobel»، وكذلك في «إرميا» (IIVX، 8): «سيمدّ جذوره نحو النّهر»، بما يجعل من «الفكرة المركزية لليوبيل هي إعادة كلّ الأشياء إلى وضعها الأوّليّ». ومن الواضح أنّ الأمر يتعلّق بهذه العودة إلى «الوضعية البدئيّة» التي يتطلّع إليها كلّ التّقاليد، والتي أتيحت لنا فرصة تسليط قليل من الضوء عليها في دراستنا حول «روحانيّة دانتي»؛ وعندما نضيف أنّ «عودة كلّ الأشياء إلى حالتها الأولى ستمثّل الحقبة الماسونيّة»، سيتمكّن قارئ هذه الدّراسة من تذكّر ما قلنا فيها حول العلاقات بين «الفردوس الأرضيّ» و«أورشليم السّماويّة». والحقّ أنّ ما يتعلّق بكلّ هذا دائما، وفي أطوار مختلفة من التّجلّي الدّوريّ، إنّما هو الفردوس ومركز هذا العالم الذي تُشبّهه الرّمزيّات التّقليديّة لكلّ الشّعوب بالقلب، ومركز الكائن و«المقام الإلهيّ» (براهما-بورا Brahma-pura في العقيدة الهندوسيّة) مثل «خيمة الاجتماع» التي تمثّل صورته، والتي تُسمّى في العبرية «مشكن» أو «مسكن الرّبّ» لهذا السّبب، والتي تشترك مع كلمة «شكيناه» في الجذر نفسه.

ومن وجهة نظر أخرى، تُعتبر «الشّكيناه»، تأليفا للـ«سّيفروت»((69))؛ فـ«العمود الأيمن»، في الشّجرة السّيفروتيّة، يمثّل جهة «الرّحمة»، و«العمود الأيسر» جهة «الصّرامة»((70))؛ ولذلك، يجب أن نعثر على هذين الجانبين في «الشّكيناه» أيضا، ويمكن أن نلاحظ على الفور، حتّى نربط هذا بما سبق، أنّ «الصّرامة» تتماهى مع «العدالة»، و«الرّحمة» مع «السّلام» على الأقل من بعض الجهات ((71)). وإذا أخطأ الإنسان وابتعد عن «الشّكيناه»، وقع تحت سلطة قوى الـ«صّريم»(Sârim) التي تعتمد على «الصّرامة»((72))، وبناء عليه، تُسمّى «الشّكيناه» «يد الصّرامة»، التي تستدعي مباشرة الرّمز المعروف بـ«يد العدالة»؛ لكن خلافا لذلك، «إذا اقترب الإنسان من «الشّكيناه»،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحرّر»، و«الشّكيناه» هي «يد الرّبّ اليمنى»، أي إنّ «يد العدالة» تصبح عندئذ «يد البركة»((73)). وتظهر هنا أسرار «بيت العدالة» أو «بيت الدّين» في العربيّة، إنّها تسمية أخرى للمركز الرّوحيّ الأعلى ((74))؛ ولا ضرورة في الإشارة إلى أنّ الجانبين اللّذين نظرنا فيهما هما الجانبان اللّذان انفصل فيهما المختارون عن الملعونين في التّمثيلات المسيحيّة لـ«يوم القيامة». ويمكننا، أيضا، أن ننجز اتّصالا مع المسارين اللّذين مَثّلَهُمَا «الفيتاغوريّون» بالحرف Y، الذي كان يمثّل على نحو جليّ أسطورة «هرقل» بين «الفضيلة» و«الرّذيلة»؛ ومع البوّابتين السّماويّة والجهنّميّة اللّتين ارتبطتا، لدى الإغريق، برمزيّة «يانوس»؛ ومع المرحلتين الدّوريّتين: التّصاعديّة والتّنازليّة ((75))، اللّتين ترتبطان، لدى الهندوس، برمزيّة الـ«غانيشا»((76)) على نحو مماثل. وأخيرا، من اليسير أن نفهم بهذا ما يرغبون في قوله بعبارات من قبيل «نيّة صادقة»، التي سنجدها في ما بعد، و«حسن النّيّة» (« Pax hominibus bonæ voluntatis »)، وسيرى أولئك الذين يتمتّعون ببعض المعارف المتّصلة بالرّموز المختلفة التي أشرنا إليها أنّ تزامن عيد الميلاد مع فترة الانقلاب الشّتويّ لم يكن بلا سبب)، عندما نحرص على تجنّب كلّ التّفسيرات الخارجيّة، الفلسفيّة والأخلاقيّة، التي أوجدوها من «الرّواقيّين» إلى «كانط».

«تمنح «القَبالة» «الشّكيناه» إلها تابعا يحمل أسماء مطابقة لأسمائها، وبالتّالي يملك الخصائص نفسها»((77))، وبطبيعة الحال، يتمتّع بجوانب مختلفة على قدر «الشّكيناه» نفسها؛ اسمه «الميتاترون» وهذا الاسم هو المعادل العدديّ لـ«لشدّاي» ((78))Shaddaï : «القدير» (الذي يقال إنّه اسم إله إبراهيم). ولم يتمّ التّثبّت في الأصل اللّغوي لكلمة «ميتاترون»؛ ومن بين الفرضيّات المختلفة التي طُرِحت حول هذا الموضوع وأكثرها إثارة للاهتمام، ما يعيد الكلمة إلى «ميترا»Mitra الكلدائيّ، التي تعني «المطر»، والتي تملك، أيضا، من خلال جذرها علاقة بـ«النّور». وإذا كان الأمر على ما وصفنا، فلا ينبغي للمرء، أيضا، أن يظنّ أنّ التّشابه مع «ميترا» الهندوسيّ والزّراديشتيّ يُشكّل سببا كافيا للقبول بوجود اقتباس لليهوديّة من العقائد الأخرى، فليس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بهذه الطّريقة السّطحيّة يُستحسن النّظر في العلاقات الموجودة بين التّقاليد المختلفة؛ وسنكرّر هذا الكلام نفسه عن الدّور المسند إلى المطر في كلّ التّقاليد الدّينيّة تقريبا، باعتباره رمزا لتنزّل «التّأثيرات الرّوحيّة» من السّماء إلى الأرض. لنُشِر، في هذا الصّدد، إلى أنّ العقيدة العبريّة تتحدّث عن «ندًى من نور» ينبثق من «شجرة الحياة»، يجب، من خلاله، أن يتمّ انبعاث الموتى، وكذلك، إلى «تدفّق النّدى» الذي يمثّل التّأثير السّماويّ الذي يسري في كلّ العوالم، مُذكّرًا بالرّمزيّتين الخيميائيّة والصّليبيّة الورديّة((79)) على نحو مميّز.

«ويشمل مصطلح «ميتاترون» كلّ معاني الحامي، والرّبّ والمبعوث والوسيط»؛ فهو «مصدر التّجلّيات الإلهيّة في العالم المحسوس»((80))؛ وهو «ملاك حضرته»((81))، وكذلك، «أمير العالم» (Sâr ha-ôlam)، ونلاحظ من خلال هذه التّسميّة الأخيرة أنّنا لم نغادر موضوعنا أبدا. ويمكننا القول عن طيب خاطر، مستخدمين الرّمزيّة التّقليديّة التي فسّرناها سابقا، إنّ «الميتاترون» هو «القطب السّماويّ، كما أنّ زعيم التّرتيب المُساريّ هو «القطب الأرضيّ»؛ وذاك ينعكس على هذا، ويرتبط به ارتباطا مباشرا تبعا لـ«محور العالم». «اسمه «ميكائيل»، الملاك الأعظم، وهو أضحية وقربان لله. ويقوم كلّ ما يفعله الإسرائيليّون على الأرض بناء على ما يحدث في العالم السّماويّ من أنماط. ويرمز الكاهن الأعظم، هنا، إلى ميكائيل، أمير «الرّأفة»، لا سيما إنّ الأمر يتعلّق، في كلّ المقاطع التي يتحدّث فيها «الكتاب المقدّس» عن ظهور «ميكائيل»، بمجد «الشّكيناه»((82)). وما يُقال هنا عن الإسرائيليّين يمكن أن يقال، بالطّريقة نفسها، عن كلّ الشّعوب التي تملك تقليدا أرثودكسيّا حقيقيّا؛ ويقال، كذلك، عن ممثّلي التّقليد البدئيّ الذي ينبثق منه الآخرون ويتّبعونه جميعا؛ ويرتبط هذا الأمر برمزيّة «الأرض المقدّسة»، وصورة العالم السّماويّ التي أشرنا إليها سابقا. ومن جهة أخرى، لا يتمتّع «الميتاترون»، بناء على ما ذكرناه سابقا، بخاصّيّة «الرّأفة» فقط، بل يملك خاصّيّة «العدالة»؛ إذ لم يكن «الكاهن الأعظم» (Kohen ha-gadol)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فحسب، بل «الأمير الأعظم» (Sâr ha-gadol) أيضا و«زعيم الأجناد السّماويّة»، التي يتهيّأ فيها مبدأ السّلطة الملكيّة، وكذلك السّلطة الكهنوتيّة أو البابويّة التي تتلاءم مع وظيفة «الوسيط» على نحو سليم. ويجب أن نشير، أيضا، إلى أنّ «ملك» و«ملاك» أو «مبعوث» ليستا، في الواقع، إلاّ شكلين متماثلين لكلمة واحدة؛ بالإضافة إلى أنّ «ملاكي» (أي المبعوث من الله، أو الملاك الذي يتهيّأ فيه الله، ملك ها-إلوهيم Maleak ha-Elohim) هو جناس ناقص لكلمة «ميكائيل»((83)).

ومن الضّروريّ أن نضيف أنّه إذا تماهى «ميكائيل» مع «الميتاترون» كما رأينا، فإنّه لا يمثّل، رغم ذلك، إلا خاصّية واحدة؛ فإلى جانب الوجه النّورانيّ، يوجد وجه مظلم، يمثّله «صموئيل» Samaël، ويطلق عليه اسم «صار ها-أوليم Sâr ha-ôlam»؛ ومن هنا نعود من جديد إلى منطلق هذه الاعتبارات. وفي الواقع، تمثّل هذه الخاصّيّة الأخيرة وحدها، في عبارة دنيا، «عبقريّة هذا العالم»، وإنّ «ملك العالم» الذي يتحدّث عنه الإنجيل؛ وعلاقاته بـ«الميتاترون»، الذي كظلّه، من شأنها أن تبرّر استخدام التّسمية نفسها بمعنى مزدوج، وتكشف، في الوقت نفسه، عن سبب العدد المروّع 666، «عدد الوحش»، وهو عدد شمسيّ أيضا ((84)). إضافة إلى ذلك، ووفقا للقدّيس «هيبوليت» ((85)) Saint Hippolyte، «يحمل كلّ من المسيح والمسيح الدجّال شعار الأسد»، وهو رمز شمسيّ أيضا؛ ويمكن أن تنطبق الملاحظة نفسها على الثّعبان ((86)) ورموز أخرى كثيرة. ويتعلّق الأمر هنا أيضا، من وجهة نظر «قَبَاليّة»، بوجهي «الميتاترون» المُتقابلين؛ ولا يتعيّن علينا التّوسّع في النّظريّات التي يُمكن أن نُكوّنها، بشكل عام، حول هذا الازدواج المعنويّ، ولكن حسبنا أن نقول إنّ الخلط بين الجانب المضيء والجانب المظلم يشكّل معنى «الشّيطانيّة» « Satanisme » على نحو خالص؛ وهو بالضّبط ذلك الخلط الذي كان يرتكبه أولئك الذين يعتقدون بعفويّة لا شكّ فيها، وبمجرّد الجهل (وهو عذر ولكن غير مبرّر) أنّهم اكتشفوا دلالة جهنّميّة في مسمّى «ملك العالم»((87)).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل الرّابع

الوظائف العليا الثّلاث

يحمل زعيم «الأغرطها»، وفقا لسان إيف، لقب «براهاتما» Brahâtmâ (ربّما من الأصحّ كتابة براهماتما Brahmâtmâ) «حامل الأنفس في روح الإله»، ومستشاراه: «ماهاتما»Mahâtmâ، «ممثّل النّفس الكونيّة»، و«الماهانغا» Mahânga، «رمز التّنظيم المادّيّ للكون كلّه ((88))»: تعكس، جميعا، التّقسيم الهرميّ الذي تمثّله المذاهب الغربيّة بالثّالوث «روح، نفس، جسد»، وقد تمّ، هنا، بناء على التّماثل التّكوينيّ للعالم الأكبر والعالم الأصغر. ومن المهمّ أن نلاحظ أنّ هذه المصطلحات، تعيّن، في السّنسكريتيّة، مبادئ خالصة، ولا يمكن أن تُطبّق على كائنات بشريّة إلّا بقدر ما تمثّل تلك المبادئ نفسها، بحيثُ حتّى، في هذه الحالة، ترتبط جوهريّا بوظائف، لا بأفراد. ووفقا للسّيّد «أوسندوفسكي» «يعرف الماهاتما أحداث المستقبل» و«يهيّئ «الماهانغا» أسباب هذه الأحداث»؛ أمّا «البراهماتا»، فيمكنه «مخاطبة الإله وجها لوجه»((89)). ومن اليسير إدراك هذا المعنى، إذا تذكّرنا أنّه يشغل النّقطة المركزيّة التي يتمّ فيها التّواصل المباشر للعالم الأرضيّ مع الكيانات العليا، ومن خلالها يتمّ التّواصل مع «المبدأ» الأسمى ((90)). فضلا عن كون عبارة «ملك العالم»، إذا أردنا أن نفهمها بمعنى مقيّد، وبنسبتها إلى العالم الأرضيّ فحسب، يمكن أن تكون غير مناسبة؛ فقد يكون من الأصحّ، بالنّسبة إلى بعض وجهات النّظر، أن تسند إلى «البراهماتا» عبارة «سيّد العوالم الثّلاثة»((91))، لأنّ من يملك الدّرجة الأعلى في كلّ تراتبيّة حقيقيّة، يملك، في الوقت نفسه، وبالطّريقة نفسها كلّ الدّرجات التّابعة. وتمثّل هذه «العوالم الثّلاثة» (التي تكوّن «تريبهيوفان»Tribhuvana التّقليد الهندوسيّ)، كما سنفسّرها في ما بعد، المجالات التي توافق الوظائف الثّلاث التي قمنا بتعدادها من قبل متتابعة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول السّيّد أوسندوفسكي: «يشعّ «ملك العالم» بالنّور المقدّس عند خروجه من المعبد». ويقول التّوراةُ الكلام نفسه عن موسى عند نزوله من «سيناء»((92)). وتجدر الإشارة، في موضوع هذه المقاربة، إلى أنّ التّقليد الإسلاميّ ينظر إلى المسيح باعتباره «قطبَ» زمانه؛ ألا يكون هذا، فضلا عمّا سبق، سببا في أن تقول «القَبَالة» إنّه تلقّى تعليماتٍ من «الميتاترون» نفسه؟ ما يزال مناسبا التّمييز، هنا، بين المركز الرّوحيّ الرّئيسيّ لعالمنا والمراكز الثّانويّة التي يمكن أن تكون تابعة له، والتي لا تمثّله إلا من خلال علاقتها بتقاليد خاصّة، تتلاءم مع شعوب محدّدة على نحو خاصّ. ومن دون أن نتوسّع في هذه النّقطة، سنشير إلى أنّ وظيفة «المُشرّع» (الرّسول بالعربيّة)، وهي وظيفة موسى، تقتضي بالضّرورة تفويضا من السّلطة التي يُعيّنها اسم «مانو»؛ ومن ناحية أخرى، تعيّن إحدى دلالات «مانو» انعكاس النّور المقدس بدقّة.

قال أحد اللّاميّين للسّيّد «أوسّندوفسكي»: «إنّ «ملك العالم» على اتّصال مع أفكار كلّ أولئك الذين يُديرُون مصير الإنسانية ... ويعرف نواياهم وأفكارهم. فإذا كانت ترضي الرّبّ، فإنّ «ملك العالم» سيؤيّدها بعونه اللّامرئيّ؛ وإذا كانت لا تُرضيه، فإن الملك سيتسبّب في فشلها. لقد مُنِحت هذه السّلطة لـ«أغارتي» من قبل العلم الخفيّ لـ«أم» ((93))، الاسم الذي نبدأ به كلّ صلواتنا.» وبعد ذلك مباشرة، ترد هذه الجملة التي يجب أن تبعث الدّهشة في أنفس كلّ أولئك الذين لا يحملون إلا فكرة غامضة عن دلالة المقطع المقدس «أم»: «أم هو اسم قدّيس قديم، وهو أوّل «الغورُوِّين((94))» (يكتب السّيّد أوسّندوفسكي «غورو» Goro بدل Guru)، الذي عاش منذ ثلاثمئة ألف سنة.» وفي الواقع، لن تكون هذه الجملة مفهومة تماما إذا لم نتأمل هذا القول: إنّ الفترة المعنيّة والتي لا تبدو لنا، كذلك، إلا على نحو غامض جدّا، أقدم بكثير من حقبة «مانو» الحاليّة؛ ومن ناحية أخرى، فإنّ «الأدي-مانو»((95)) أو «مانو» «كالبا»نا((96)) الأوّل (فايفاصواط((97))هو السّابع) يُسمّى «صوايمبهوفا»((98)) ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي سليل «صوايمبهو»((99))، «الذي يعيش منفردا»، أو «اللّوغوس الخالد»؛ والحقّ أنّ «اللّوغوس»، أو من يُمثّله مباشرة، يمكن أن يسمّى بأوّل «الغوروّين» أو «السّادة الرّوحيّين»؛ وبالفعل، فإنّ «أم» هو، في الواقع، اسم «للّوغوس»((100)).

ومن ناحية أخرى، تُعيّن كلمة «أم»، مباشرة، مفتاح التّوزيع الهرميّ للوظائف بين «براهاتما» وإثنين من معاونيه، كما أشرنا سابقا. والحقّ أنّ مكوّنات هذا المقطع المقدّس ترمز، على التّوالي، وبناء على التّقاليد الهندوسيّة، إلى «العوالم الثّلاثة» التي ألمحنا إليها منذ قليل، وهي المصطلحات الثّلاثة لـ«تريبهيوفان»: الأرض (Bhû)، والفضاء (Bhuvas)، والسّماء (Swar)، أي، بعبارة أخرى، عالم التّجلّي الجسديّ، وعالم التّجلّي الباطنيّ أو النّفسيّ، والعالم الرّئيسيّ غير المتجلّي ((101)). وتبدو، هنا، المجالات الخاصّة بـ«ماهنغا» و«ماهاتما» و«براهاتما»، مرتّبة من الأسفل إلى الأعلى، كما نراها بيسر عند الرّجوع إلى تفسير ألقابهم الذي قدّم سلفا؛ تلك هي علاقات التّبعيّة القائمة بين مختلف المجالات التي تبرّر، بالنّسبة إلى «البراهماتا»، تسمية «سيّد العوالم الثّلاثة» التي استخدمناها سابقا((102)): «إنّه ربّ كلّ شيء، والعليم (الذي يرى كلّ الأحداث في أسبابها على نحو مباشر)، والمنسّق الدّاخليّ (الذي يُقيم في مركز العالم ويحكمه من الدّاخل، موجّها حركته دون أن يشارك فيها)، والمصدر (لكلّ سلطة شرعيّة)، وأصل كلّ الكائنات ونهايتها (من خلال التّجلّي الدّوريّ الذي يمثّل قانونه) ((103))». وسوف نقول، مستخدمين رمزيّة أخرى أيضا، لكنّها ليست أقلّ دقّة، إنّ «الماهانغا» يمثّل قاعدة المثلّث المُساريّ، و«البراهاتما» قمّته؛ وبين الاثنتين، يُجسّد «المهاتما»، بطريقة معيّنة، مبدأ أوسطَ (الحيويّة الكونيّة، «الأنيما موندي» Anima Mundi لدى الهرمسيّين)، ويسري عمله في «المجال الأوسط»؛ ويتمّ تمثيل كلّ هذه الأمور، بوضوح بالغ، بالأحرف الموافقة للألفبائيّة المقدّسة التي يسمّيها «سان-إيف» «فاطان» Vattan، والسيّد «أوسندوفسكي» «فاطانّان» Vatannan، أو، وهو ما يعادل الأمر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفسه، بالأشكال الهندسيّة (خطّ مستقيم، خطّ لولبيّ، نقطة) التي تعود إليها الوحدات الثّلاث أو العناصر المكوّنة للمقطع الأحاديّ «أم».

ولمزيد التّوضيح، نقول مرّة أخرى: تنتمي كلتا السّلطتين الكهنوتيّة والمَلَكيّة للبراهاتما، بالنّظر إلى أنّهما، في الأصل وبطريقة مّا، حالة غير متمايزة؛ ثمّ تمايزت هاتان السّلطتان في ما بعد حتّى تجلّيتا. ويمثّل «الماهاتما» السّلطة الكهنوتيّة تحديدا، و«الماهانغا» السّلطة الملكيّة. وينطبق هذا التّمييز على التّمييز بين «البراهمانيّين» Brâhmanes و«الكشاترياويّين» Kshatriyas؛ لكن، إضافة إلى كون، «المهاتما» و«الماهانغا» من «خارج الطّوائف»، فإنّهما يتمتّعان ذاتيّا بخاصّيّة كهنوتيّة وملكيّة في الوقت نفسه على قدر ما يتمتّع بها «البراهاتما». وسندقّق، في هذا الشّأن، أيضا، نقطة يبدو أنّها لم يسبق أن فُسّرت بطريقة مرضيّة، وهي، مع ذلك، مهمّة جدّا: كنّا قد أشرنا سابقا إلى «ملوك المجوس» في الإنجيل، باعتبارهم يجمعون في ذواتهم السّلطتين؛ وسنشير الآن إلى أنّ هذه الشّخصيّات الغامضة لا تمثّل، في الواقع، أحدا آخر غير الزّعماء الثّلاثة لأغرطها ((104)). يقدّم «الماهانغا» الذّهب للمسيح ويحيّيه باعتباره «ملكا»؛ ويقدّم «الماهاتما» البخور له ويحيّيه باعتباره «كاهنا»؛ وأخيرا، يقدّم «البراهاتما» المُرّة (بلسم الخلود، وصورة عن الأمريتا ((105))Amritâ) له ويحيّيه باعتباره «نبيّا» أو معلّما روحيّا مميّزا. وهكذا، فإنّ التّكريم الذي منحه الممثّلون الأصليّون للتّقليد البدئيّ للمسيح النّاشئ في العوالم الثّلاثة التي تمثّل مجالاتهم الخاصّة، هو، في الوقت نفسه، وكما نلاحظه جيّدا، تعهّد من الأرثودكسيّة المسيحيّة المثاليّة متعلّق به.

وبطبيعة الحال، لم يستطع السّيّد أوسندوفسكي أبدا أن يتصوّر اعتبارات من هذا القبيل؛ لكن لو فهم بعض الأمور بعمق أكثر ممّا فعل، لكان بإمكانه على الأقل ملاحظة التّماثل الدّقيق الموجود بين ثالوث «الأغرطها» الأعلى وثالوث اللّاميّة الذي يشير إليه: «يحقّق الدّالاي-لاما قداسة (أو الرّوحانيّة الخالصة) «بوذا»، و«الطاشي-لاما» Tashi-Lama علمه» (لا بـ«السّحر» كما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعتقدُ، بل، الأصحّ، بـ«سيمياء» Théurgique)، و«يمثّل «البوغدو-خان» Bogdo-Khan قوّته المادّيّة والحربيّة»؛ وذلك بالضّبط التّوزيع على أساس «العوالم الثّلاثة» نفسه. وكان بإمكانه، أيضا، أن يُبدي هذه الملاحظة بيسر أكبر لمّا قيل له إنّ «عاصمة «أغارتي» تُذكّر بـ«لاسّا» Lhassa التي يوجد بها قصر الدّالاي-لاما، «البوطالا» Potala، على سفح جبل مغطّى بالمعابد والأديرة»؛ فهذه الطّريقة في التّعبير عن الأمور، فضلا عمّا سبق، خاطئة، لأنّها تقلب العلاقات، فيمكن أن نقول إنّ الصّورة، في الواقع، هي التي تستدعي نمطها الأصليّ، وليس العكس. بينما لا يمكن أن يكون مركز اللاميّة إلاّ صورة «مركز العالم» الحقيقيّ؛ غير أنّ كلّ المراكز من هذا النّوع تتميّز، بالنّسبة إلى الأماكن التي أنشئت فيها، ببعض الخصوصيّات الطّوبوغرافيّة المشتركة، فهذه الخصوصيّات، وهي بعيدة كلّ البعد عن الاختلاف، تتمتّع بقيمة رمزيّة لا جدال فيها، ويجب أن تكون، إضافة إلى ذلك، مرتبطة بالقوانين التي تشتغل على أساسها «التّأثيرات الرّوحيّة»؛ وهذه مسألة تتعلّق رسميّا بالعلم التّقليديّ الذي يمكن أن نطلق عليه اسم «جغرافيّة المقدّس».

ويوجد، أيضا، توافق آخر لا يقلّ أهمّيّة، وهو أنّ «سان-إيف» يشير، بشكل خاصّ، في وصفه لمختلف الدّرجات أو دوائر النّظام المُسارّيّ، التي ترتبط ببعض الأعداد الرّمزيّة، إلى تقسيمات الزّمان، ويختم بالقول إنّ «الدّائرة الأعلى والأقرب إلى المركز الغامض تتكوّن من اثني عشر عضوا، يمثّلون المسارّة الأسمى ويتوافقون، من بين أمور أخرى، مع دائرة البروج». بينما أُعيد إنشاء هذا الهيكل في ما يسمى بـ«المجلس الدّائريّ» للدّالاي-لاما، المكوّن من اثني عشر «نامشانا» Namshans (أو نومخانا Nomekhans)؛ كما نعثر عليه حتّى في بعض التّقاليد الغربيّة، لا سيما تلك المتعلّقة بـ«فرسان المائدة المستديرة». وسنضيف، أيضا، أنّ الاثني عشر عضوا للحلقة الدّاخليّة للأغرطها، لا يمثّلون، من جهة النّظام الكونيّ، الاثنتي عشرة علامة للبروج فحسب، بل كذلك (ربّما نميل إلى القول «بالأحرى»، رغم أنّ التّفسيرين لا ينفي أحدهما الآخر) الاثني عشر «أديتيا» Âdityas، باعتبارهم صورا للشّمس متعدّدةً، تتعلّق بتلك العلامات للبروج((106))

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفسها: وبطبيعة الحال، يسمى «فايفاصواط» «ابن الشمس» مثل «مانو»، وكذلك «الشمش» شعار من شعارات «ملك العالم» ((107)).

والمحصّلة التي يمكن استخلاصها من كلّ هذا، هي الوجود الحقيقيّ لروابط وثيقة جدّا بين الأوصاف الموجودة في كلّ البلدان والتي تتعلّق بمراكز روحيّة مخفيّة بدرجات، أو على الأقلّ لا يمكن الوصول إليها بسهولة. والتّفسير المعقول الوحيد الذي يمكن تقديمه هو أنّ هذه الأوصاف تتعلّق بمراكز مختلفة، كما يبدو في حالات معيّنة أنّها ليست، إن جاز التّعبير، إلا صورا متطابقة لمركز وحيد ورفيع، كما أنّ كلّ التّقاليد الخاصّة ليست في الجملة إلّا اقتباسات من التّقليد الأصليّ العظيم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل الخامس

رمزيّة الكأس المقدّسة

لقد أشرنا سابقا إلى «فرسان المائدة المستديرة»؛ وهنا، لن تكون الإشارة إلى المقصود من «البحث عن الكأس المقدّسة»، الذي يمثّل في أساطير الأصل السّالتيّة وظيفتهم الرّئيسية، إشارة خارجة عن السّياق. وفي كلّ التّقاليد الدّينيّة، يتمّ التّلميح إلى شيء معيّن ربّما فُقِد أو اختفى منذ حقبة معيّنة، فيتمثّل في «الصّوما»Soma الهندوسيّ و«الهاوما» Haoma الفارسيّ، «شراب الخلود»، الذي يملك، على وجه الدقّة، علاقة مباشرة وقويّة بـ«الكأس المقدّسة»، لأنّ هذه الكأس، كما يُقال، هي الوعاء المقدّس الذي احتوى دمَّ المسيح، «شرابَ الخلود» أيضا. وتختلف الرّمزيّة في أماكن أخرى: فالمفقود عند اليهود هو نطق اسم الله الأعظم؛ إلّا أنّ الفكرة الأساسيّة تظلّ هي نفسها دائما، وسنرى، لاحقا، ما يتّفق معها على نحو تامّ.

ويقال إنّ الكأس المقدّسة هي الكأس التي استخدمت في «العشاء الأخير»، والتي جمع فيها «يوسف الرّامي» الدّم والماء اللّذين انفلتا من الجرح المفتوح في خاصرة المسيح برمح «سنتريون لونجينوس» Centurion Longin((108)). وكانت هذه الكأس، حسب الأسطورة، قد نقلها يوسف الرّامي نفسه و«نقوديموس» Nicodème((109)) إلى بريطانيا؛ وينبغي أن يُنظر إلى هذا الأمر على أساس أنّه إشارة إلى وجود صلة قائمة بين التّقليد السّالتيّ والمسيحيّة. وفي الواقع، يقوم الكأس بدور مهمّ جدّا في أغلب التّقاليد الدّينيّة القديمة، ولا شك في أنّه كان كذلك لدى السّالتيّين خاصّة؛ وتجدر الإشارة، أيضا، إلى أنّه كثيرا ما يقترن بالرّمح، فهذان الرّمزان يكمّل أحدهما الآخر؛ ولكن سيُبعدنا هذا الأمر عن موضوعنا ((110)).

وما يقال عن مصدر «الكأس المقدّسة»، يمكن أن يُبيّن بوضوح كبير دلالتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجوهريّة: فقد نحتت الملائكة هذه الكأس من زمرّدة وقعت من جبين «لوسيفر» ((111)) عند سقوطه ((112)). وتذكّرنا هذه الزّمرّدة، على نحو مذهل، بـ«أورنا» Urnâ، اللؤلؤة الأماميّة التي تحتلّ محلّ العين الثالثة لـ«شيفا» Shiva في الرّمزيّة الهندوسيّة (التي انتقلت منها إلى البوذيّة)، والتي تمثّل ما يمكن تسميته بـ«معنى الخلود»، كما وضّحنا ذلك في مكان آخر ((113)). ثمّ يقال، بعد ذلك، إنّ «الكأس» عُهدت إلى «آدم» في الفردوس الأرضيّ، لكنّ «آدم» فَقَدها، بدوره، عند سقوطه، لأنّه لم يستطع أن يحملها معه لمّا أُطرد من «عدن»؛ وبوجود الدّلالة التي أشرنا إليها توًّا يتّضح الأمر أكثر. وفعلا، كان الإنسان، بعد إبعاده عن مركزه الأصليّ، يجد نفسه محبوسا في النّطاق الزّمنيّ؛ ولا يستطيع بلوغ النّقطة الوحيدة التي يتمّ فيها تأمّل كلّ الأشياء من خلال مظهر الخلود. وبعبارة أخرى، يرتبط امتلاك «معنى الخلود» بما يسمّى في كلّ التّقاليد الدّينيّة، وكما ذكرنا سابقا، بـ«الوضعيّة البدئيّة» التي تُشكّل استعادتُها المرحلة الأولى للمُسارّة الحقيقيّة، نظرا إلى كونها شرطا مسبقا للفتح المُبين للأحوال «الفوق-بشريّة»((114)). وفضلا عن ذلك، يمثّل الفردوس الأرضيّ «مركز العالم» على نحو متطابق؛ وما سنقوله، في ما يلي، حول المعنى الأصليّ لكلمة فردوس سيجعلها مفهومة بطريقة أفضل.

وقد يبدو ما يلي أكثر غموضا: إذ تحصّل «شيث» على إذْن بالعودة إلى الفردوس الأرضيّ، وهكذا تمكّن من استعادة الإناء الثّمين؛ واسم «شيث» يعبّر عن أفكار التّأسيس والاستقرار، وبالتّالي، يدلّ بطريقة مّا على استعادة النّظام البدئيّ الذي دمّره سقوط الإنسان ((115)). ولذلك، ينبغي أن ندرك أنّ «شيث» وأولئك الذين امتلكوا «الكأس» بعده، مكّنهم ذلك من إنشاء مركز روحيّ هدفه تعويض «الفردوس» المفقود، وكان بمثابة صورة عنه؛ وهكذا، مثّل امتلاك «الكأس المقدّسة» المحافظة الكاملة على التّقليد البدئيّ في مركز روحيّ. ولا تذكر الأسطورة، أيضا، المكان الذي أحتفظ فيه بـ«الكأس المقدّسة» ولا الشّخص الذي احتفظ بها إلى حدود زمن المسيح؛ ولكنّ الأصل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السّالتيّ الذي نعرفه يترك انطباعا لا شكّ فيه بأنّ «الدّرويديّين» Druides ساهموا في ذلك، ويجب أن يُحتَسبوا ضمن المحافظين المُنتظمين على التّقليد البدئيّ.

ويُمثّل فقدان «الكأس المقدّسة»، أو أيّ شيء يعادلها رمزيّا، باختصار، فقدان التّقليد الدّينيّ بكلّ ما تنطوي عليه الكلمة من معان؛ والحقّ أنّ هذا التّقليد صار، على الأصحّ، مخفيّا لا مفقودا، أو، على الأقلّ، لا يمكن أن يكون مفقودا إلا بالنّسبة إلى بعض المراكز الثّانويّة، عندما يتوقّف عن الارتباط المباشر بالمركز الأعلى. ويظلّ، بالنّسبة إلى هذا الأخير، محافظا على سلامة وديعة التّقليد الدّينيّ، وغيرَ متأثّر بالتّغييرات التي تحدث في العالم الخارجيّ؛ وهكذا، لم يبلغ الطّوفان، وفقا لمختلف آباء الكنيسة، خاصّة القدّيس «أوغسطين»، الفردوس الأرضيّ، «مسكن «أنوخ»((116)) وأرض القدّيسيّين ((117))»، الذي «تلامس قمّته مجال القمر»، ما يعني أنّه خارج مجال التّغيّر (الذي يعرف بـ»عالم ما تحت القمر»)، عند نقطة الاتّصال بين «الأرض» و»السّماوات»((118)). ولكن، كما أصبح «الفردوس» الأرضيّ بعيد المنال، فإنّ المركز الأعلى، الذي يطابقه في الأصل، قد لا يتجلّى ظاهريّا في غضون فترة معيّنة، ومن ثمّة، يمكننا القول إنّ التّقليد الدّينيّ قد فُقِد بالنّسبة إلى البشريّة جمعاء، لأنّه لم يُحتَفظ به إلاّ في بعض المراكز المغلقة على نحو صارم، والتي لا يشارك فيها عموم النّاس بوعي وفاعليّة أبدا، على خلاف ما كان يجري في الحالة الأصليّة ((119))؛ وهي، بالضّبط، وضعيّة عصرنا الحاليّ، الذي تعود بدايته إلى ما هو أبعد ممّا يمكن للتّاريخ العادي و»الدّنيويّ» بُلوغه. وبالتّالي، يمكن فهم فقدان التّقليد الدّينيّ، حسب الحالات، بهذا المعنى العامّ، أو بردّه إلى غموض المركز الرّوحيّ الذي يقود مصائر شعب معيّن أو حضارة محدّدة على نحو لامرئيّ نسبيّا؛ ولذا ينبغي على المرء، في كلّ مرّة يواجه فيها رمزيّة متعلّقة به، أن يتبيّن ما إذا كان يجب عليه أن يفسّره بمعنى معيّن أو بآخر.

وبناء على ما قلنا، تمثّل «الكأس المقدّسة» أمرين مترابطين على نحو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وثيق في الوقت نفسه، فمن يملك «التّقليد البدئيّ» كلّيًا، ومن بلغ درجة المعرفة الفعّالة التي تشمل هذا الامتلاك على نحو جوهريّ، إنّما في الواقع أعيد إدماجه في تمام «الحالة البدئيّة» بالطّريقة نفسها. ويتعلّق المعنى المزدوج الملازم لكلمة «كأس مقدّسة» نفسها بهذين الأمرين، «حالة بدئيّة» و«تقليد بدئيّ»، لأنّ «الكأس»، من خلال إحدى هذه التّماثلات اللّغويّة التي غالبا ما تضطلع بدور لا يستهان به في الرّمزيّة، والتي تملك، فضلا عن ذلك، أسبابا أعمق بكثير ممّا قد نتخيّله في الوهلة الأولى، هي، في الوقت نفسه، وعاء (grasale) وكتاب (gradale أو graduale)؛ ويعيّن الجانب الأخيرُ التّقليدَ بوضوح، بينما يتعلّق الآخر بالحالة نفسها مباشرة((120)).

لا ننوي، هنا، الخوض في التّفاصيل الثّانويّة لأسطورة «الكأس المقدّسة»، رغم أنّها تتمتّع جميعا بقيمة رمزيّة أيضا، ولا تتبّع تاريخ «فرسان المائدة المستديرة» ومآثرهم؛ وإنّما سنتذكّر، فحسب، أنّ «المائدة المستديرة» التي صنعها الملك «آرثر»((121)) بناء على خطط «مارلين»، كانت تهدف إلى استقبال «الكأس» إن نجح أحد «الفرسان» في الحصول عليها ونقلها إلى بريطانيا العظمى في «أرموريكا»((122)). ومن المرجّح أنّ هذه المائدة ماتزال رمزا قديما جدّا، وواحدا من تلك الرّموز التي ارتبطت دائما بفكرة المراكز الرّوحيّة، والمحافظين على التّقليد الدّينيّ؛ وفضلا عن ذلك، يرتبط الشّكل الدّائريّ للمائدة بدورة البروج صوريّا لوجود اثنتي عشرة شخصيّة رئيسيّة((123)) حولها، وهي ميزة موجودة في بنية كلّ المراكز المتعلّقة بها كما ذكرنا سابقا.

ويوجد رمز يتعلّق بجانب آخر من قصّة «الكأس» أيضا، ويستحقّ اهتماما خاصّا: إنّه رمز «مونسلفات» Montsalvat (حرفيّا «جبل الخلاص»)، وتقع قمّته على «الأطراف البعيدة التي لا يصل إليها أيٌّ من البشر الفانين»، ويتهيّأ كالقائم في وسط البحر، في منطقة يتعذّر الدّخول إليها، وتطلع الشّمس من ورائها. إنّها، في الوقت نفسه، «الجزيرة المقدّسة» و«الجبل القطبيّ»، وهما رمزان متكافئان سنتحدّث عنهما مرة أخرى في ما يلي من هذه الدّراسة؛ إنّها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«أرض الخلود»، التي تتماهى مع «الفردوس» الأرضيّ على نحو طبيعيّ.

وبالعودة إلى «الكأس» نفسها، ندرك، بيسر، أنّ معناها الأوّل هو بالأساس المعنى نفسه الذي ينطوي عليه الإناء المقدّس، في العموم، وأينما وجد، فهي «كأس القربان» في الأصل، لا سيما في الشّرق، كما أشرنا سابقا، و«الصّوما الفيديّة» أو «الهاوما المازديّة»، أي «مشروب الخلود» الذي يَمنح «معنى الخلود» لمن يحصل عليه أو يستعيده بالتّدابير المطلوبة. وقد لا نستطيع التّوسّع أكثر في رمزيّة الكأس وما تحتويه، دون الخروج عن موضوعنا؛ فيكون من الضّروريّ إفرادها بدراسة خاصّة وكاملة، لتفسيرها بالشّكل الملائم؛ غير أنّ الملاحظة التي قدّمناها ستقودنا إلى اعتبارات أخرى ذات أهمّيّة كبرى لما نقترحه الآن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل السّادس

ملكي-صادق

يُقال إنّ «الصّوما» في التّقاليد الشّرقيّة أصبحت، في وقت مّا، غير معروفة، وهو ما تطلّب استبدالها، في طقوس القرابين، بمشروب آخر لا يتباين مع صورة «الصّوما» البدئيّة((124))؛ وقد اضطلعت الخمرة، أساسا، بهذا الدّور الذي تعلّق به جزء كبير من أسطورة «ديونوزوس»((125)) الإغريقيّة. وغالبا ما ينظر إلى الخمرة باعتبارها تمثيلا للتّقليد المُساريّ الحقيقيّ: فالكلمتان العبريّتان «إيان» iaïn، «الخمرة» و«صود» sod، «اللغز» تتبادلان موقعيهما باعتبارهما تملكان العدد نفسه ((126))؛ وترمز الخمرة، عند المتصوّفة، إلى المعرفة الباطنيّة، المذهب الخاصّ بالنّخبة، الذي لا يتناسب مع عامّة النّاس، كما لا يستطيع الجميع شرب الخمرة بلا عقاب. ويترتّب عن ذلك أنّ استخدام الخمرة في طقس مّا يمنحه خاصّيّة مُساريّة واضحة؛ وذلك هو حال تضحية «ملكي-صادق»((127)) «الإفخاريستيّة» eucharistique. وهنا، توجد النّقطة الجوهريّة التي ينبغي أن نتوقّف عندها الآن.

وفي الواقع، لم يكن اسم «ملكيصادق»، أو على نحو أدقّ «ملكي-صادق»، شيئا آخر غير الاسم الذي تتحدّد به وظيفة «ملك العالم» نفسها في التّقليد اليهوديّ-المسيحيّ صراحة. ولقد تردّدنا قليلا في التّصريح بهذا الحدث الذي يتضمّن تفسيرا لواحد من أكثر المقاطع غموضا في الكتاب المقدّس العبريّ، لكن، بمجرّد أنّنا قرّرنا معالجة هذه المسألة المتعلّقة بـ«ملك العالم»، لم يعد من الممكن تجاهلها حقّا. ويمكننا أن نستعيد هنا الكلمة التي قالها القدّيس «بول» saint Paul في هذا الشّأن: نملك حول هذا الموضوع أشياء كثيرة قابلة للقول، وأشياء يصعب شرحها، لأنّك صرت بطيء الفهم. ((128))»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي البداية، ها هو النّص المطابق للمقطع المعنيّ من الكتاب المقدّس: «وَمَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ، أَخْرَجَ خُبْزًا وَخَمْرًا. وَكَانَ كَاهِنًا للهِ الْعَلِيِّ. وَبَارَكَ أَبْرَام((129)) وَقَالَ: «مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدَيْكَ». فَأَعْطَاهُ عُشْرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ((130)).»

إذن، «ملكي-صادق» هو الملك والكاهن معا؛ ويعني اسمه «ملك العدالة»، وهو في الوقت نفسه ملك «السّلام»؛ ولذلك نعثر، هنا، مرّة أخرى، وقبل كلّ شيء، على «العدالة» و«السّلم»، أي، على السّمتين الأساسيّتين لـ«ملك العالم» محدّدتين. وتجدر الإشارة إلى أنّ كلمة «سلام»، خلافا للرّأي العامّ، لم تعيّن مدينة في الواقع أبدا. ولكن، إذا اعتبرناها اسما رمزيّا لمكان إقامة «ملكي-صادق»، يمكن أن ينظر إليها بمثابة معادل لمصطلح «أغرطها». وفي كلّ الحالات، من الخطأ أن نرى فيها الاسم الأصليّ لأورشليم، فقد كان هذا الاسم، في الأصل، «جوبوس» Jébus؛ وفي المقابل، إذا كان اسم «أورشليم» قد أُطلق على هذه المدينة عندما أسّس العبرانيّون مركزا روحيّا فيها، فهذا يشير إلى أنّها كانت منذ ذلك الحين بمثابة صورة مرئيّة «للسّلام» الحقيقيّ؛ وللإشارة، فإنّ «الهيكل» الذي بناه سليمان، واسمه «شلوموه» (Shlomoh)، مشتقّ، أيضا، من «سلام» ويعني «المسالم»((131)).

وأقدّم إليكم، الآن، المصطلحات التي علّق بها القدّيس «بول» على ما قيل في «ملكي-صادق»: «هذا «ملكي-صادق»، ملك «السّلام»، وكاهن الإله العليّ، الذي التقى إبراهيم عند عودته من هزيمة الملوك، والذي باركه، والذي أجزل له إبراهيم العُشر من كلّ غنيمة؛ هو، أولا، وبناء على معنى اسمه، ملك العدالة، ثمّ ملك السّلام؛ لا أب له ولا أمّ ولا نسب، وليست لحياته بداية ولا نهاية، ولكنّه صار هكذا شبيها بابن الله؛ ويظلّ هذا «ملكي-صادق» كاهنا إلى الأبد((132)).»

ويُقدّم «ملكي-صادق» بوصفه أعلى من إبراهيم مرتبة، بما أنّه باركه، «ولا تعارض في أن يبارك الأعلى مرتبة الأدنى ((133))»؛ وقد كان إبراهيم، من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ناحيته، يعترف بهذه العلويّة، فهو الذي منحه العشر، وتلك علامة تبعيّته. ها هنا ضرب من «الولاية» الحقيقيّة، بالمعنى الإقطاعيّ للكلمة تقريبا، لكن مع هذا الاختلاف المتعلّق بكونها ولاية روحيّة؛ ويمكننا أن نضيف أنّه توجد، هنا، نقطة يلتقي فيها التّقليد اليهوديّ والتّقليد البدئيّ العظيم. فـ«البركة» التي قيل إنّها تَواصُلُ «مؤثّر روحيّ»، بدأه «إبراهيم»، يمكن أن نلاحظ فيه أنّ الصّيغة المستخدمة تضع «إبراهيم» في علاقة مباشرة مع «الإله العليّ»، الذي دعاه إبراهيم نفسه، في ما بعد، بـ«يهوه»((134)). وإذا كان «ملكي-صادق» أرفع من إبراهيم منزلة، فذلك لأنّ «عليّا» (Elion)، وهو إله «ملكي-صادق»، هو نفسه أرفع من «القدير» (Shaddai)، إله إبراهيم، أو، بعبارة أخرى، إنّ أوّل هذين الاسمين يمثّل جانبا إلهيّا أعلى من الثّاني. ومن ناحية أخرى، فإنّ ما هو أكثر أهمّيّة، وما يبدو أنّه لم يُشر إليه قطّ، هو أنّ «العليّ» El Elion المعادل لـ«عمانويل» Emmanuel، اسمان يتمتّعان بالقيمة العدديّة نفسها تماما ((135))؛ وهو ما يربط قصّة «ملكي-صادق»، مباشرة، بقصّة «ملوك المجوس» التي فسّرنا دلالتها سابقا. وفضلا عن ذلك، مازال يمكننا النّظر في هذه المعادلة: كهنوت «ملكي-صادق» هو كهنوت «العليّ»: الكهنوت المسيحيّ هو كهنوت «عمانويل»؛ إذن إذا كان «العليّ» هو «عمانويل»، فليس هذان الكهنوتان إلّا كهنوتا واحدا، والكهنوت المسيحيّ، الذي يشمل، في جوهره، قربان الخبز والخمرة الإفخاريستيّ أيضا، «ينتمي إلى التّرتيب الملك-صادقيّ» حقّا ((136)).

ويُميّز التّقليد اليهوديّ-المسيحيّ بين كهنوتين، يتبع أحدهما نظام «هارون»، والآخر نظام «ملكي-صادق»؛ وهذا أعلى من ذاك منزلة، بما أنّ «ملكي-صادق» نفسه أرفع من «إبراهيم» الذي انحدرت منه قبيلة «لاوي» Levi، وبالتّالي أسرة «هارون»((137)). وقد أكّد القديس «بول» بوضوح هذه العلويّة قائلا: «إن العُشر الذي جمعه «لاوي» نفسه (من شعب اليهود) دفعه، إذا جاز التّعبير، إلى إبراهيم ((138)).» لن نتوسّع، هنا، في دلالة هذين الكهنوتين كثيرا؛ غير أنّنا سنقتبس هذه العبارة من القدّيس «بول»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرّة أخرى: « يتسلّم النّاس القانون، هنا (في الكهنوت اللّاويّ)، العُشورَ؛ بينما يتسلّمها هناك رجل مشهود بحياته ((139)).» هذا «الرّجل الحيّ»، الذي هو «ملكي-صادق»، هو «مانو» الذي يظلّ، بالفعل، «قائما إلى الأبد»(في العبريّة le-ôlam)، أي طيلة مدّة دورته (مانفنتار Manvantara) أو مدّة العالم الذي يعيش فيه خاصّة. ولهذا السّبب «لا نسب» له، لأنّ أصله «لا بشريّ»، ولأنّه يمثّل النّموذج البشريّ نفسه؛ إنّه «مخلوق شبيه بـ»ابن الله» حقّا، وهو، بموجب القانون الذي يسنّه، عبارةُ «الكلمة الإلهيّة»((140)) وصورتُها مُتطابقتين في هذا العالم.

وتوجد ملاحظات أخرى يتعيّن طرحها، وعلى رأسها الملاحظة التّالية: نرى في قصّة «ملوك المجوس» ثلاث شخصيّات متميّزة، تمثّل زعماء التّنظيم المُسارّيّ الثّلاثة؛ أمّا في نظام «ملكي-صادق»، فلا نرى إلا شخصيّة واحدة، ولكن يمكن أن تُوحّد في ذاتها الخاصّيات المطابقة للوظائف الثّلاث نفسها. وهكذا ميّز البعض بين «أدوني-صادق» Adoni-Tsedeq، ربّ العدالة»، الذي ينقسم، بطريقة مّا، إلى «كوهين-صادق» Kohen-Tsedeq، كاهن العدالة» و«ملكي-صادق»، «ملك العدالة»؛ وفي الواقع، يمكن اعتبار هذه الجوانب الثّلاثة مرتبطة، على التّوالي، بوظائف «براهاتما» و«ماهاتما» و«ماهانغا»((141)). ولئن كان «ملكي-صادق» لا ينطبق إلا على اسم الخاصّية الثّالثة، فإنّه يُطبّق، في العادة، على ما يشمل مجموع الخاصّيات الثّلاث. وإذا استخدم على هذا النّحو بتفضيله على الخصائص الأخرى، فذلك لأنّ الوظيفة التي يعبّر عنها هي الأقرب إلى العالم الخارجيّ، وبالتّالي فهي التي تظهر مباشرة. ومع ذلك، يمكن أن نلاحظ أنّ عبارة «ملك العالم»، وكذلك عبارة «ملك العدالة» لا تشيران على نحو مباشر إلاّ إلى السّلطة المَلكيّة؛ وكذلك، نجد في الهند، من ناحية أخرى، تسمية «دارما-راجا» Dharma-Râja، التي تعادل تسمية «ملكي-صادق» حرفيّا((142)).

وإذا أخذنا اسم «ملكي-صادق» في معناه الحرفيّ الآن، وجدنا صفتين خاصّتين بـ»ملك العدالة»: الميزان والسّيف؛ وهما صفتا «ميكائيل» أيضا،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

باعتباره «ملاك الدّينونة»((143)). ويمثّل هذان الشّعاران، على التّوالي، في النّظام الاجتماعيّ، الوظيفتين الإداريّة والعسكريّة، المخصّصتين لـ«لكشاتريا»، والعنصرين المكوّنين للسّلطة الملكيّة. وهما أيضا الخاصّيّتان اللّتان تشكّلان، هيروغليفيّا، الجذر العبريّ والعربيّ «حقّ»، الذي يدلّ على «العدالة» و«الحقيقة»((144)) في الوقت نفسه، والذي استخدم، لدى شعوب قديمة مختلفة للدّلالة على المَلَكيّة ((145)) تحديدا. والحقُّ هو القوّة التي تفرض سيادة العدالة، أي التّوازن الذي يرمز إليه الميزان، بينما تحصل عليه القوّة نفسها بالسّيف ((146))، وذلك بالضّبط ما يميّز الدّور الأساسيّ للسّلطة المَلكيّة؛ وهو من ناحية أخرى، كذلك، ما يميّز القوّة عن الحقيقة في النّظام الرّوحيّ. وينبغي أن نضيف، فضلا عمّا سبق، أنّ هناك أيضا شكلا ملطّفا من هذا الجذر «حقّ»، يُخصَّلُ عليه باستبدال علامة القوّة الرّوحيّة بعلامة القوّة المادّيّة؛ ويُشير هذا الشّكل «حقّ» إلى «الحكمة» (في العبريّة «حكماه» Hokmah) تحديدا على نحو تتلاءم فيه مع السّلطة الكهنوتيّة خاصّة، كما تتلاءم الأخرى مع السّلطة المَلَكيّة. ويتأكّد هذا، أيضا، من خلال وجود الشّكلين المتوافقين، بمعانيهما المتشابهة، في الجذر «كهن» Kan، الذي يدلّ، في لغات متنوّعة جدّا، على «السّلطة» أو «القوّة»، و«المعرفة»((147)) أيضا: فكَهَنَ هو السّلطة الرّوحيّة أو المعرفيّة خاصّة، المطابقة لـ«حكمة» (من هنا كوهين Kohen، تعني كاهن في العبريّة)، وكهن هو السّلطة المادّيّة (ومن ثمة، فإنّ كلمات مختلفة تعبّر على فكرة «المِلْكيّة»، لا سيما اسم «كائين» ((148)) Qaïn). ولا شكّ في أنّ هذه الجذور ومشتقّاتها يمكن أن تفضي إلى عدّة اعتبارات أخرى أيضا؛ لكن يجب أن نقتصر على ما يتعلّق مباشرة بموضوع دراستنا الحاليّ.

ولإتمام ما سبق، سنعود إلى ما تذكره «القَبالة» العبريّة عن «الشّيكيناه» من أنّها تُمثَّل في «العالم الدّيماسيّ» بآخر فرد من «السّيفروث» العشرة، الذي يسمّى «ملكوت» Malkuth، أي «مملكة»، وهي تسمية جديرة بالملاحظة من وجهة النّظر التي نقف عندها؛ لكنّ الأجدر بالملاحظة أن نصادف، في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض الأحيان، «صادقا» Tsedeq بين المترادفات المتعلّقة بـ«ملكوت»، أي «العادل»((149)). ويوجد هذا التّقارب بين «ملكوت» و«صادق»، أو بين «المَلكيّة (حكم العالم) و«العدالة»، في اسم «ملكي-صادق» تحديدا. ويتعلّق الأمر، هنا، بالعدالة التّوزيعيّة المتوازنة على نحو صحيح، في «عمود الوسط» من الشّجرة «السّيفروتيّة»؛ إذ ينبغي تمييزها عن «العدالة» المقابلة لـ«الرّحمة» والمحدّدة بـ«الصّرامة»، في «العمود الأيسر»، فهنا يوجد جانبان مختلفان (إضافة إلى وجود كلمتين في العبريّة لتعريفهما: الأولى «صدقاه»Tsedaqah، والثّانية «دين»Din). وينطوي أوّل هذين الجانبين، أي «العدالة» بمعناها الحرفيّ والأكمل في الوقت نفسه، على فكرة التّوازن أو التّناغم أساسا، ويرتبط بـ«السّلام» على نحو وثيق.

و«الملكوت» هو «الخزّان الذي تتمازج فيه المياه المتدفّقة من النّهر الأعلى، أي كلّ فيض (الكرامات أو الأوراد الرّوحيّة) ينزل بغزارة»((150)). هذا «النّهر الأعلى» والمياه التي تنحدر منه تذكّر، على نحو غريب، بالدّور المسند إلى النّهر السّماويّ «غانجا» Gangâ في التّقليد الهندوسيّ: ويمكن للمرء أن يلاحظ فيه، أيضا، أنّ «شاكتي» Shakti، التي يمثّل «غانجا» مظهرا من مظاهرها، لا تخلو من بعض التّماثل مع «الشّيكيناه»، وإن كان بسبب الوظيفة «الربّانيّة» المشتركة بينهما. ويتطابق خزّان المياه السّماويّ مع المركز الرّوحيّ لعالمنا طبيعيّا: تندفع، من هناك، أنهار الفردوس الأربعة، متّجهة نحو القمم الأساسيّة الأربع. ويتحدّد هذا المركز الرّوحيّ، بالنّسبة إلى اليهود، بجبل «صهيون» الذي يطلقون عليه اسم «قلب العالم»، وهو اسم مشترك بين كلّ «الأراضي المقدّسة»، يتحوّل عندهم، تقريبا، إلى معادلِ «ميرو» لدى «الهندوس» أو «البرج» لدى الفرس ((151)). وإنّ «خيمة اجتماع قداسة «يهوه»، ومقرّ إقامة «الشّيكيناه»، هي قدس الأقداس وقلب «الهيكل»، الذي يمثّل، في حدّ ذاته، مركز «صهيون» (أورشليم)، كما أنّ «صهيون» المقدّس هو مركز «أرض إسرائيل»، و«أرض إسرائيل» مركز العالم.» ((152)) ويمكننا، أيضا، أن ندفع بالأمور إلى أبعد مدى من ذلك: إذ لا يقتصر الأمر على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما تمّ إيراده هنا فحسب، وقد أخذنا بالترتيب العكسيّ، بل يتهيّأ، أيضا، بعد «خيمة الاجتماع في الهيكل» و«تابوت العهد في خيمة الاجتماع» ومكان ظهور «الشيكيناه» (بين اثنين من الشيروبيم Kerubim)، على «تابوت العهد» نفسه، كمجموعة من المقامات التقريبيّة المتتالية «للقطب الرّوحيّ».

وعلى هذا النّحو أيضا، يُقدّم «دانتي»، بدقّة، «أورشليم» باعتبارها «قطبا روحيّا»، وقد سبق أن أتيحت لنا الفرصة لشرح ذلك في مكان آخر ((153))؛ بيد أنّ هذا الأمر، ما إن نغادر وجهة النّظر اليهوديّة الخالصة، حتّى يتحوّل، في الأغلب، إلى معطى رمزيّ ولا يشكّل تَموقعا بالمعنى الحرفيّ لهذه الكلمة. ومجموعة المراكز الرّوحيّة الثّانويّة، التي أنشِئت لملاءمة التّقليد البدئيّ مع ظروف معيّنة، هي، كما أوضحنا سابقا، صور للمركز الأعلى؛ وقد لا يكون «صهيون»، في الواقع، إلا واحدا من مراكزه الثّانويّة، بيد أنّه يتماهى رمزيّا مع المركز الأعلى بمقتضى هذا التّماثل. ومن المؤكّد أنّ «أورشليم»، كما يوحي اسمها، هي صورة «السّلام» الحقيقيّة؛ وسيسمح لنا ما ذكرناه وما سنذكره، أيضا، حول «الأرض المقدّسة» بفهم ذلك دون صعوبة.

وتوجد، في هذا الشّأن، عبارة أخرى ملفتة للانتباه، مرادفة لـ«لأرض المقدّسة» وهي عبارة «أرض الأحياء»: وهي تشير، بوضوح، إلى «دار الخلود»، حتّى إنّها تنطبق، في معناها الخاصّ والدّقيق، على «الفردوس» الأرضيّ أو ما يعادله رمزيّا؛ غير أنّ هذه التّسمية نُقِلت، أيضا، إلى «الأراضي المقدّسة» الثّانويّة، لا سيما إلى «أرض إسرائيل. ويقال إنّ «أرض الأحياء تشمل سبع أرضين»((154))، ويلاحظ السّيّد «فيليود» في هذا الموضوع أنّ «هذه الأرض هي «كنعان» التي وجدت فيها سبعة شعوب». ولا شكّ في أنّ هذا صحيح بالمعنى الحرفيّ؛ لكن قد تتّفق هذه الارضون السّبع، كما الارضون المشار إليها، من ناحية أخرى، في التّقليد الإسلاميّ، مع الجزر السّبع التي تعتبر الـ«ميرو» مركزا مشتركا لها حسب التّقليد الهندوسيّ، وهو ما سنعود إليه لاحقا. كما يوجد، هنا، حينما يتمّ تمثيل العوالم القديمة، أو المخلوقات السّابقة لنا، بـ«ملوك إدوم Edom السّبعة» (يوجد العدد السّباعي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هنا في علاقة بـ»أيّام» التكوين السبعة)، تشابهٌ مدهش جدًا حتّى لا يكون عرضيًا، مع «المانويّين» السبعة المعدودين من بداية «كالبا» حتّى الحقبة الحاليّة ((155)).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل السّابع

«لوز» أو دار الخلود

تتلاقى التّقاليد المتعلّقة بـ«العالم الدّيماسيّ» عند شعوب كثيرة؛ ولا ننوي تجميعها كلّها في هذا المكان، لا سيما إنّ بعضها لا يتعلّق مباشرة بالمسألة التي تشغلنا ظاهريّا. ومع ذلك، يمكن للمرء أن يلاحظ، عموما، أنّ «تقديس الكهوف» مرتبط دائما بشكل أو بآخر بفكرة «المكان الدّاخليّ» أو «المكان المركزيّ»، وأنّ رمز الكهف ورمز القلب متقاربان جدّا من هذه الزّاوية ((156)). ومن ناحية أخرى، توجد، على نحو واقعيّ جدّا، في آسيا الوسطى كما في أمريكا وربّما في أماكن أخرى، كهوف أو معابر سفليّة تمكّنت بعض المراكز المُسارّيّة من البقاء فيها منذ قرون؛ ولكن، بصرف النّظر عن هذه الحقيقة، يوجد، في كلّ ما تمّ الإخبار عنه في هذا الموضوع، جانب من الرّمزيّة لا يصعب تحديده؛ حتّى إنّه يمكننا أن نتصوّر أنّ الأسباب التي حدّدت اختيار الأماكن التّحتيّة لإنشاء هذه المراكز المُسارّيّة، إنّما هي أسباب من نظام رمزيّ على وجه التّحديد، أكثر من كونها دوافع حيطة بسيطة. وربّما كان «سان-إيف» قادرا على تفسير هذه الرّمزيّة، لكنّه لم يفعل، وهو ما يضفي على أجزاء معيّنة من كتابه مسحة من الاستيهام Fantasmagorie ((157))؛ أمّا السّيّد «أوسندوفسكي»، فمن المؤكّد أنّه لم يكن قادرا على تجاوز الرّسالة ورؤية أمر آخر غير المعنى السّطحيّ في ما قيل له.

ويتمتّع تقليدٌ واحد، من بين التّقاليد التي أشرنا إليها سابقا، بأهمّيّة خاصّة: إذ يوجد في اليهوديّة، ويتعلّق بمدينة غامضة تسمّى «لوز» ((158)) Luz. وكان هذا الاسم في الأصل اسما للمكان الذي تلقّى فيه يعقوب الوحي قبل أن يُسمّى في ما بعد «بيت إيل» Beith-El، أي «بيت الله»((159))؛ وسنعود إلى هذه النّقطة لاحقا. ويقال إنّ «ملك الموت» لا يستطيع الدّخول إلى هذه المدينة ولا قوّة له عليها. ويُحدّد بعضهم موقعها، بضرب من التّقارب الفريد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جدًا، لكنّه ذو دلالة بالغة، بالقرب من «البرج»، وهو «دار الخلود» بالنسبة إلى الفرس أيضا.

ويقال إنّ بالقرب من «لُوز» شجرةَ لوز (تسمّى لُوز بالعبريّة أيضا) في قاعدتها تجويف يؤدّي إلى باطن الأرض ((160))؛ ويقود هذا التّجويف إلى المدينة نفسها، المخفيّة تماما. كما تبدو كلمة «لوز»((161))، بمعانيها المختلفة، مشتقّة من جذر يشير إلى كلّ ما هو مخفيّ، ومغطّى، ومغلّف، وصامت، وسرّيّ؛ وتجدر الإشارة إلى أنّ الكلمات التي تعرّف بـ»السّماء» تملك المعنى الأوّل نفسه. لقد تعوّدنا أن نصل كلمة «كويلوم» ((162)) Cœlom بالكلمة الإغريقيّة «كوالون» Koilon، أي «تجويف» (الذي يمكن أن يتعلّق بالكهف أيضا، لا سيما إنّ «فارون»((163)) كان يُشير إلى تلك الصّلة بهذه الحدود: كويلوم مُجوّف a cavo coelum)؛ ولكن ينبغي أن نشير، أيضا، إلى أنّ الشّكل الأقدم والأصحّ هو، على ما يبدو، «كايلوم» Caelum، الذي يُشبه إلى حدّ كبير كلمة «كايلار» Caelare، أي الفعل «أخفى». ومن ناحية أخرى، تُشتقّ كلمة «فارونا» Varuna، في السّنسكريتيّة، من الجذر «فار» Var، أي «يغطّي» (وهو أيضا معنى جذر «كال» Kal الذي ترتبط به كلمة «كولار» Celare اللاتينيّة، وهي صيغة أخرى من «كايلار» Caelare، ومرادفه الإغريقيّ «كالوبتاين» Kaluptein) ((164))؛ و»أورانوس» Ouranos الإغريقيّ صيغة أخرى للاسم نفسه، يتحوّل فيها المقطع «فار» Var إلى «أور» Ur بسهولة. إذن، يمكن أن تدلّ هذه الكلمات على «ما يغطّي» ((165))، و»ما يخفى» ((166))، ولكن على «المَخفيّ» أيضا، ولهذه الكلمة الأخِيرة معنى مزدوج: إنّه ما يخفى عن الحواسّ، أي مجال فوق-حسّيّ؛ وهو، أيضا، التّقليد الدّينيّ الذي يتوقّف عن الظّهور الخارجيّ والمكشوف في فترات الغموض أو التّعتيم، فيتحوّل «العالم السّماويّ» حينها إلى «عالم ديماسيّ».

وتوجد، في إطار علاقة أخرى، صلة بـ»السّماء» قابلة للإثبات أيضا: فـ»لوز» تُسمّى «المدينة الزّرقاء»، وهذا اللّون هو لون الياقوت ((167))، وهو لون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سماويّ. وفي الهند، يُقال إنّ اللّون الأزرق للغلاف الجوّيّ ناتج عن انعكاس الضّوء على أحد جوانب «ميرو» Mêru، على الجانب الجنوبيّ، المقابل لـ«جامبو-دويب» Jambu-dwîpa، وهو من الياقوت؛ ومن السّهل أن نفهم أنّ هذا القول يحيل على الرّمزية نفسها. ولا تعني «جامبو-دويب» الهندَ كما يُعتَقَدُ عادة فحسب، بل تُمثّل، في حقيقة الأمر، كلّ العالم الأرضيّ في حالته الرّاهنة؛ ويمكن، في الواقع، أن يُنظر إلى هذا العالم على أنّه يقع، كلّه، في جنوب «ميرو»، بما أنّه يتحدّد بالقطب الشّماليّ ((168)). وتظهر «الدّويب» dwîpas السّبع (تعني حرفيّا «جزر» أو «قارات»)، على نحو متتابع، أثناء فترات دوريّة معيّنة، بحيث تمثّل كلّ واحدة منها العالم الأرضيّ المتصوَّر في الفترة الموافقة. وهي تشكّل زهرة «لوتس» مركزها «ميرو»، ومن خلال علاقتها به يتمّ توجيهها حسب اتّجاهات الفضاء السّبع ((169)). إذن، يوجد جانب من «ميرو» ملتفتٌ إلى كلّ واحدة من «الدّويب» السّبع؛ وإذا كان لكلّ جانب من هذه الجوانب لون من ألوان قوس قزح ((170))، فإنّ الأبيض يؤلّف بين هذه الألوان السّبعة، وهو يُنسب، في كلّ مكان، إلى السّلطة الرّوحيّة العليا((171))، وهو لون «ميرو» الذي يحمله في ذاته (سنرى أنّه يسمّى «الجبل الأبيض» حقّا)، بينما تمثّل الألوان الأخرى جوانبَه المتعلّقة بـ«الدّويب» المختلفة فحسب. ويبدو أنّ هناك وضعيّة مختلفة لـ«ميرو» بالنّسبة إلى الفترة التي تظهر فيها كلّ واحدة من «الدّويب»؛ لكن، في الواقع، يظلّ ثابتا، لأنّه المركز، وما يتغيّر، من فترة إلى أخرى، إنّما هو اتّجاه العالم الأرضيّ مقارنة به.

ولنعد إلى الكلمة العبرية «لوز» التي تتطلّب معانيها المختلفة انتباها بالغا: فهذه الكلمة، في العادة، تدلّ على معنى «لَوزة» (وكذلك «شجرة اللّوز» التي تشير بتوسّع إلى الشّجرة وثمارها) أو «نواة؛ والنّواة هي ما يوجد في الدّاخل العميق والمخفيّ جدّا، وهيَ مغلّفة تماما، ومن هنا جاءت فكرة «الحصانة»((172)) (التي نصادفها في اسم «أغرطها»). وتعني كلمة «لوز» نفسها الاسم الذي يُطلق، أيضا، على عضو بدنيّ غير قابل للتّلف، يتمّ تمثيله،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رمزيًا، بعظم صلب جدًا، تظلّ الرّوح مرتبطة به بعد الموت إلى يوم البعث ((173)). ومثلما تحتوي النّواة على البذرة، والعظم على النّخاع، فإنّ «لوز» تحتوي على العناصر الممكنة الضّروريّة لاستعادة الكائن؛ وسوف تتمّ هذه الاستعادة تحت وقع «النّدى السّماويّ»، الذي يُحيي العظام الجافّة؛ ذلك ما تشير إليه هذه العبارة للقدّيس «بول» على نحو جليّ جدًا: «ما يُغرس في الفساد، سوف يرتفع في المجد ((174)).» ويتعلّق «المجد»، ها هنا كما هو الحال دائما، بـ«الشّيكيناه»، المُتصوَّرَة في العالم العلويّ، والتي يرتبط بها «النّدى السّماويّ» ارتباطا وثيقا، كما أمكننا أن نبيّن سابقا. وتمثّل «لُوز»، باعتبارها غير قابلة للفساد ((175))، «نواة الخلود» في الكائن الإنسانيّ، وبما أنّ المكان الذي حُدّد بالاسم نفسه هو «دار الخلود»، فإنّ سلطة «ملك الموت» تتوقّف، هنا، في الحالتين. إنّها بمعنى مّا بيضةُ خلودها أو جنينها ((176))؛ ويمكن مقارنتها، أيضا، بالشّرنقة التي ينبغي للفراشة أن تخرج منها ((177))، وهي مقارنة تُعرب، بدقّة، عن دورها المتعلّق بالبعث.

وتتموقع «لوز» في اتّجاه الطّرف السّفليّ من العمود الفقريّ؛ وقد يبدو هذا الأمر غريبا نسبيًا، غير أنّه ينجلي بمقاربته مع ما يُقال في التّقليد الهنديّ عن القوّة المسمّاة «كونداليني» ((178)) Kundalinî، وهي شكل من «الشّاكتي» la Shakti التي تعتبر ملازمة للكائن البشريّ ((179)). وتُمثّل هذه القوّة بشكل ثعبان ملتفّ حول نفسه، في منطقة من العضو الرّفيع الذي يوافق، بدقّة، الطّرف السّفليّ من العمود الفقريّ أيضا؛ وهكذا الحال مع الإنسان العاديّ على الأقلّ؛ ولكن، بتأثير بعض الممارسات، من قبيل «الهاتا-يوغا»، تستفيق وتظهر وتقوم عبر «الدواليب» (الـ«شّاكرا» Chakras) أو «اللّوتس» («كَامَلَ» kamalas) التي تلتحم مع الأمشاج المختلفة، حتّى تبلغ المنطقة الموافقة لـ«عين الثّالثة»، أي عين «شيفا» الأماميّة. وتمثّل هذه المرحلة استعادة للوضعيّة البدئيّة، التي يسترد فيها الإنسان «الإحساس بالخلود»، ومن ثمة يفوز بما سمّيناه في موقع آخر بالخلود الافتراضيّ. ونظلّ، حتّى ذلك الحين، في الوضعيّة البشريّة؛ وفي مرحلة لاحقة، تبلغ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«كونداليني» تاج الرّأس ((180)) أخيرا، وتتعلّق هذه المرحلة الأخيرة بالاستغراق الفعليّ في الحالات العلويّة للكائن. وما يترتّب عن هذه المقاربة في الظّاهر، هو أنّ توطين «لوز» في الجزء السّفليّ من الجسم لا يتعلّق بوضعيّة «الرّجل السّاقط» فحسب؛ بل كذلك بموقع المركز الرّوحيّ في «العالم الدّيماسيّ»((181)) بالنّسبة إلى البشر الدّنيويّين جميعا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل الثامن

المركز الأعلى الخفيّ أثناء «الكالي-يوغا»

في الواقع، يُقال إنّ «أغرطها» لم تكن تحت الأرض، ولن تظلّ على هذه الحال إلى الأبد؛ وبناء على أقوال السيّد «أوسندوفسكي»، سوف يأتي زمن «تخرج فيه أُمَمُ «أَغَزطَهَا» من كهوفها وتظهر على وجه الأرض» ((182)). وكان هذا المركز، قبل اختفائه عن العالم المرئيّ، يحمل اسما آخر، لأنّ اسم «أَغَزطَهَا»، الذي يعني «بعيد المنال» أو «المتعذّر دخوله» (وكذلك «المصون»، لأنّه مقام السّلام»)، لن يكون ملائما حينئذ؛ ويُبيّن السّيّد «أوسندوفسكي» بدقّة أنّها صارت تحت الأرض «منذ أكثر من ستّة آلاف سنة»، وقد اتّضح أنّ هذا التّاريخ يوافق، على نحو تقريبيّ كافٍ، بداية الـ«كالي-يوغا» أو «العصر الأسود»، «العصر الحديديّ» عند الغربيّين القُدامى، وآخر الفترات الأربع التي تنقسم إليها « مَانْفَنْتَار» ((183))؛ وينبغي أن يتزامن ظهورها مع نهاية الفترة نفسها.

وقد تحدّثنا سابقا عن الإشارات التي أبدتها التّقاليد جميعا حول شيء مّا مفقود أو مخفيّ، يتمّ تمثيله برموز مختلفة؛ ويتعلّق هذا الشّيء الذي يخصّ مجموع البشريّة الدّنيويّة كلّها، عندما يؤخذ في معناه العام، بشروط «الكالي-يوغا» تحديدا. ومن ثمّة، فإنّ الفترة الحالية هي فترة إظلام وارتباك ((184))، وتتمثّل شروطها، مادامت قائمة، في وجوب أن تظلّ المعرفة المُساريّة، مخفيّة بالضّرورة، ومن هنا جاءت خاصّية «أسرار» ما يُسمّى بـ«تاريخ» العصر القديم (الذي لا يرتقي إلى بداية هذه الفترة)((185)) والتّنظيمات السّرّيّة لكلّ الأمم: وهي منظمات تقدّم مُسارة فعليّة حيث ما تزال هناك عقيدة تقليديّة حقيقيّة، ولكنّها لا تقدّم إلا الظّلال لمّا توقّفت روح هذه العقيدة عن إحياء الرّموز التي لم تكن إلّا المظهر الخارجيّ، وذلك لأنّ كلّ ربط واع بمركز العالم الرّوحيّ انتهى به الأمر إلى الانقطاع لأسباب مختلفة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو المعنى الخاصّ جدّا لفِقدان التّقليد، الذي يتعلّق بهذا المركز الثانويّ أو ذلك خاصّة، والذي كفّ عن أن يكون متعلّقا بالمركز العلويّ على نحو مباشر وفعّال.

لا بدّ، إذن، أن نتحدّث، كما قلنا من قبل، عن شيء مّا خفيّ بدلا من ضائع حقّا، بما أنّه لم يكن ضائعا بالنّسبة إلى الجميع، وما زال بعضهم يمتلكه على نحو كامل؛ ويظلّ الآخرون، إذا كان الأمر كذلك، يتمتّعون بإمكانية العثور عليه مرّة أخرى، شرط أن يبحثوا عنه كما ينبغي، أي أنْ تُوجَّه نواياهم على نحو يجعلهم في تواصل روحيّ فعّال مع المركز الأعلى ((186)) بواسطة الاهتزازات المتناغمة التي تُثيرها وبناء على قانون «الأفعال وردود الأفعال المتطابقة ((187))». وفضلا عن ذلك، يملك هذا الاتّجاه للنّيّة في كلّ الأشكال التّقليديّة، تمثيله الرّمزيّ؛ نريد أن نتحدّث عن التّوجيه الطُّقسيّ: وهو، في الواقع، الاتّجاه الصّحيح نحو مركز روحيّ يظلّ، مهما يكن، صورة حقيقيّة لـ«مركز العالم»((188)). ولكن، مع تقدّمنا في «الكالي-يوغا»، يصبح الاتّحاد مع هذا المركز، المغلق والمخفيّ أكثر فأكثر، أصعبَ، في الوقت الذي تقلّ فيه المراكز الثّانويّة التي تمثّله على نحو خارجيّ ((189))؛ ومع ذلك، يجب على التّقليد أن يتجلّى مرّة أخرى كاملا عندما تنتهي هذه الفترة، بما أنّ بداية كلّ « مانفنتار»، وهي مطابقة لنهاية سابقتها، تتطلّب بالضّرورة، بالنّسبة إلى البشريّة الدّنيويّة، عودة «الوضعيّة البدئيّة»((190)).

وقد انقطعت، الآن، أيّة صلة واعية بالمركز عن طريق هيآت منظّمة في أوروبّا، وهكذا الحال منذ عدّة قرون؛ ولئن كانت هذه القطيعة تتمّ دفعة واحدة، فإنّها تحدث على عدّة مراحل متعاقبة ((191)). وتعود أوّل مرحلة من هذه المراحل إلى بداية القرن الرّابع عشر؛ وما ذكرناه سابقا حول «أوامر الفرسان» يُمكن أن يوضّح أنّ أحد أدوارهم الرّئيسيّة تمثّل في ضمان التّواصل بين الشّرق والغرب، تواصلا يمكن إدراك نطاقه الحقيقيّ إذا تبيّنّا أنّ المركز الذي نتحدّث عنه هنا وُصف دائما، على الأقلّ في ما يتعلّق بالأزمنة «التّاريخيّة»، بأنّه موجود في جهة «الشّرق». بينما واصلت جماعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«الصّليب الورديّ»، أو أيّة جماعة أطلق عليها هذا الاسم في ما بعد، ضمان الرّابطة نفسها بعد تدمير «فرسان الهيكل»، وإن كان ذلك بطريقة أكثر سرّيّة ((192)). وقد وَسَم «عصر النّهضة والإصلاح» مرحلة جديدة حرجة. وأخيرا، تزامنت القطيعة التّامة مع معاهدات «وستفاليا» Westphalieالتي أنهت حرب الثّلاثين عاما في 1648، بناء على ما يبدو أنّ سان-إيف أشار إليه. ومن المُلفت للانتباه أنّ كثيرا من المؤلّفين أكّد بدقّة أنّ جماعات «الصّليب الورديّ» الحقيقيّة غادرت أوروبّا لتنسحب إلى آسيا، بُعيد حرب الثّلاثين؛ وسوف نتذكّر، في هذا الصّدد، أنّ أتباع «الصّليب الورديّ» كانوا اثني عشر، كأعضاء حلقة «أَغَرْطَهَا» الدّاخليّة الضّيّقة، وطبقا للبنية المشتركة للعديد من المراكز الرّوحيّة المتشكّلة على صورة هذا المركز الأعلى.

لم يعد تأمين المعرفة المُساريّة الفعليّة، منذ هذه الحقبة الأخيرة، محميّا، في الواقع، من قبل أيّ من التّنظيمات الغربيّة؛ وحتّى «سويدنبورغ» ((193)) يصرّح بوجوب البحث، من الآن فصاعدا، عن «الكلمة المفقودة» بين «حكماء التّيبت» و«التّتار» la Tartarie. وتختصّ «آن كاثرين إميريش»((194))، من جهتها، برؤيا حول مكان غامض تسمّيه «جبل الأنبياء»، وتحدّده بالمناطق نفسها. إضافة إلى أنّ تلك المعلومات الجزئيّة التي تمكّنت السيّدة «بالافتسكي»((195)) من جمعها حول هذا الموضوع، دون أن تفهم معناها حقّا، ولّدت لديها فكرة «الإقامة البيضاء الكبرى»، التي لا نستطيع تسميتها بصورة، ولكن، بكلّ بساطة، رسما كاريكاتوريّا أو محاكاة خياليّة ساخرة لأغَرْطَهَا((196)).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل التّاسع

«الأمفالوس» وأنصابه

ظهر «ملك العالم»، وفق تقرير السيّد «أوسندوفسكي»، عدّة مرّات في «الهند و»سيام»، وهو «يبارك النّاس بتفّاحة ذهبيّة يعلوها حَمَلٌ»؛ ويكتسب هذا التّفصيل أهمّيته البالغة عندما نقارنه بما يقوله «سان-إيف» عن «دورة الحَمَل والكبش»((197)). وتوجد، من ناحية أخرى، في الرّمزيّة المسيحيّة، وهو ما يلفت الانتباه بشدّة، تمثيلاتٌ لا حصر لها للحمل على جبل تجري منه أربعة أنهار، من الواضح أنّها مطابقة لأنهار الفردوس الأرضيّ ((198)) الأربعة. وقد سبق أن قلنا إنّ «الأغَرطها» تحمل اسما آخر في بداية «الكالي-يوغا»، وكان هذا الاسم لـ»باريديش» Paradêsha، الذي يعني، في السّنسكريتيّة، «المنطقة العلويّة»، التي تتطابق مع المركز الرّوحيّ، المُكنّى أيضا بـ»قلب العالم» على نحو مميّز؛ ومن هذه الكلمة، اشتقّ الكلدانيّون «باردس» Pardes والغربيّون «بارادي» Paradis. ذلك هو المعنى الأصليّ لهذه الكلمة الأخيرة، وينبغي له أن يختم فهمَ لماذا قلنا سابقا إنّ الأمر يتعلّق، دائما، بما به تتعلّق «باردس» بـ»القَبّالة» العبريّة.

ومن ناحية أخرى، من السّهل أن نتبيّن، أيضا، أنّ جبل الفردوس الأرضيّ، بالعودة إلى ما فسّرناه من رمزيّة «القطب»، يتطابق مع «الجبل القطبيّ» المشار إليه في كلّ التّقاليد تقريبا تحت تسميات مختلفة: وقد ذكرنا بالفعل «ميرو» الهندوسيّ و»البرج» الفارسيّ، فضلا عن «مونسلفات» في أسطورة الكأس المقدّسة الغربيّة؛ وسنستشهد أيضا بجبل «قاف»((199)) العربيّ، وحتّى بجبل «أولمب» الإغريقيّ الذي يتمتّع بالمعنى نفسه من نواح عديدة. ويتعلّق الأمر دائما بمنطقة صارت، كالفردوس الأرضيّ، بعيدة ومحظورة على عامّة النّاس، تقع في منأى من الكوارث التي تهزّ العالم البشريّ في نهاية بعض الفترات الدّوريّة. وهذه المنطقة هي «المنطقة العلويّة» حقّا؛ كما إنّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موقعها، حسب بعض النّصوص «الفيديّة» و«الأفستيّة»((200)) كان قطبيا في البدء، حتّى من خلال المعنى الحرفيّ لهذه الكلمة؛ ومهما يكن موقعها عبر مختلف المراحل التّاريخيّة للبشر، فإنّها تظل قطبيّة بالمعنى الرّمزيّ، بما إنّها تمثّل، بالأساس، المحور الثّابت الذي تكتمل حوله دورة الأشياء جميعا.

وبالطّبع، يمثّل الجبل «مركز العالم» قبل «الكالي-يوغا»، أي عندما كان مكشوفا على نحو مّا، ولم ينتقل إلى ما تحت الأرض بعدُ؛ ولذا يتوافق مع ما يمكن تسميته بالوضعيّة الطّبيعيّة، خارج الفترة المظلمة التي تتطلّب ظروفها الخاصّة ضربا من القلب للنّظام القائم. وتجدر الإشارة، أيضا، إلى أنّ رمزَيْ الجبل والكهف، بصرف النّظر عن تلك الاعتبارات المتعلّقة بالقوانين الدّوريّة، يملكان ما يبرّر وجودهما وما بينهما من تكامل حقيقيّ ((201))؛ فضلا عن إمكان اعتبار الكهف موجودا في باطن الجبل نفسه، أو تحته مباشرة.

وتوجد، أيضا، رموز أخرى، في التّقاليد القديمة، تمثّل «مركز العالم»؛ لعلّ أهمّها رمز «الأمفالوس» l'Omphalos، الذي نعثر عليه، كذلك، لدى أغلب الشّعوب((202)). وتعني الكلمة الإغريقيّة «أمفالوس» «سُرّة»، غير أنّها تعني، أيضا، كلّ ما هو مركز بشكل عام، ومحور الدّولاب بشكل أخصّ؛ وتملك كلمة «نابهي» nâbhi، في السّنسكريتيّة، هذه التّحديدات المختلفة على نحو موازٍ، وتوجد، كذلك، مشتقّات من الجذر نفسه في اللّغتين «السّالتيّة» و«الجرمانيّة»، في الصّيغتين nab و((203))nav. ومن ناحية أخرى، تملك كلمة nav أو nab، المماثلة للكلمتين السّابقتين بداهة، معنى «زعيم» الذي ينطبق، أيضا، على «الله»؛ فها هنا، يتمّ التّعبير عن فكرة «المبدأ» المركزيّ ((204)). وفضلا عن ذلك، يتمتّع معنى «محور» بأهمّية خاصّة جدّا، لأنّ الدّولاب في كلّ مكان يرمز للعالم يَختمُ دورته حول نقطة ثابتة، رمزا ينبغي أن يقارن برمز الصّليب المعقوف؛ غير أنّ محيط الدّائرة الذي يُمثّل التّجلّي فيه لم يكن مخطوطا، على نحو يكون فيه المركز نفسه معيَّنا مباشرة: فلا يمثّل الصّليب المعقوف صورة للعالم، بل صورة حركة «المبدأ» من منظور العالم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويمكن أن يوضع رمز «الأمفالوس» في موقع لا صفة له غير كونه مجرّد مركز في منطقة محدّدة، وإن كان مركزا روحيّا بدل أن يكون مركزا جغرافيّا، بالرّغم من أنّ المركزين قد يتماهيان في بعض الحالات؛ وإذا كان الأمر كذلك، فلأنّ هذه النّقطة كانت تمثّل، حقّا، صورة مرئيّة لـ«مركز العالم» بالنّسبة إلى متساكني المنطقة المعنيّة، كما لم يكن التّقليد الخاصّ بهذا الشّعب إلّا ملاءمة للتّقليد البدئيّ في الشّكل الأنسب لتفكيره وشروطه الوجوديّة. وفي العموم، نحن نعرف «أمفالوس» معبدِ «دلفي»؛ فقد كان هذا المعبد مركز الإغريق الرّوحيّ حقّا ((205)). ودون الإلحاح على كلّ الأسباب التي يمكن أن تبرّر هذا التّأكيد، نشير، فقط، إلى أنّ مجلس «الأمفكتيّين» Amphictyons، المكوّن من ممثّلين لكلّ الشّعوب الهيلينيّة، والذي كان يشكّل، فضلا عن ذلك، الرّابطة الوحيدة الفعليّة بين هذه الشّعوب، رابطةً تكمن قوّتها، بالتّحديد، في طابعها التّقليديّ أساسا، كان يجتمع في هذا المكان مرّتين في السّنة.

وقد كان مظهر «الأمفالوس» الماديّ حجرا مقدّسا في العموم، وهو ما نسمّيه، غالبا، «بَتيلا»((206)) bétyle؛ وعلى ما يبدو لم تكن هذه الكلمة الأخيرة شيئا آخر غير الكلمة العبريّة «بيت –إيل» Beith-El، «بيت الله»، وهي التّسمية نفسها التي أطلقها يعقوب على المكان الذي تجلّى فيه الله له في رؤيا: «واستيقظ يعقوب من نومه وقال: من المؤكّد أنّ الله في هذا المكان، وأنا لا أعلم. فجزع وقال: ما أروع هذا المكان! إنّه بيت الله وباب السّماء. وبكّر يعقوب، وأخذ الحجر الذي اتّخذه من جانب سريره، وأقامه كالعمود، وسكب الزّيت على قمّته (ليتبرّك به). وسمّى هذا المكان «بيت-إيل»؛ بيد أنّ الاسم الأوّل لهذه المدينة هو لُوز»((207)). وقد وضّحنا سابقا دلالة اسم «لُوز»؛ ومن ناحية أخرى، يقال، أيضا، إنّ «بيت-إيل»، «بيت الله»، صار في ما بعد «بيت-لحم»، أي «بيت الخبز»، المدينة التي ولد فيها المسيح ((208))؛ وفضلا عن ذلك، قد تستحقّ العلاقة الرّمزيّة القائمة بين «الحجر» و«الخبز» كثيرا من الاهتمام ((209)). كما ينبغي أن نلاحظ أنّ اسم «بيت-إيل» لا ينطبق على المكان فحسب، بل على الحجر نفسه:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«وهذا الحجر الذي أقمته عمودا سيكون بيت الله ((210)).» ولذلك يجب أن يكون هذا الحجر خاصّا بـ«المسكن الإلهي» (ميشكن Mishkan)، بناء على التّسمية التي ستُطلق، لاحقا، على «خيمة الاجتماع» Tebernacle، أي مقرّ «الشّيكيناه»؛ ويتعلّق كلّ هذا الأمر، في الأصل، بمسألة «التّأثيرات الرّوحيّة» (Berakoth). وعندما نتحدّث عن «عبادة الحجر»، التي كانت شائعة لدى كثير من الشّعوب القديمة، لا بدّ أن نفهم جيّدا أنّ هذه العبادة لم تكن موجّهة إلى الحجر، بل إلى المقدّس الذي يُقيم بها.

وقد يكون الحجر الذي يمثّل «الأمفالوس» على شكل عمود، شبيها بحجر يعقوب؛ ومن المرجح أنّ بعض الشّواهد القائمة لدى الشّعوب السّالتيّة يملك هذا المعنى؛ وكانت النّبوءات تُعرَض بالقرب من هذه الأحجار، كما في «دلفي»، وهو ما يفسّر، بيسر، أنّها كانت تُعتبر موطنا للمقدّس منذ ذلك الحين؛ فضلا عن كون «بيت الله» يتماهى مع «مركز العالم» بطبيعة الحال. وقد يُجسّم «الأمفالوس»، أيضا، بحجر مخروطيّ الشّكل، كحجر «كوبيلي» Cybèle، أو بيضويّ؛ فيُذكّر المخروط بالجبل المقدّس، رمز «القطب» أو «محور العالم»؛ أمّا الشّكل البيضويّ، فيرتبط مباشرة برمز آخر مهمّ جدّا، هو «بيضة العالم»((211)). ويجب أن نشير، أيضا، إلى أنّ «الأمفالوس»، إذا كان يمثّل بحجر في الغالب، فقد يتمّ تمثيله بتلّةٍ أحيانا، وهي ضرب من الجُثّ، الذي يَظلّ صورة للجبل المقدّس؛ وكذلك، في الصّين قديما، كانت تقام، في وسط كلّ مملكة أو مقاطعة، تلّة على شكل هرم مربّع القاعدة، تُشكّل أرضَ «المناطق الخمس»: وتتطابق الواجهات الأربع مع القمم الأساسيّة الأربع، وتتطابق القمّة مع المركز نفسه((212)). ومن الغريب أن نعثر، مرّة ثانية، على هذه «المناطق الخمس» في إيرلندا، التي نجد فيها «الحجر الرّئيس القائم»، منتصبا في وسط كلّ ميدان ((213)).

وفي الواقع، توفّر «إيرلندا»، وهي من البلدان «السّالتيّة»، العدد الأكبر من المعلومات المتعلّقة بـ«الأمفالوس»؛ فقد كانت مقسّمة إلى خمس ممالك قديما، وتحمل إحداها اسم «ميد» Mide (ظلّت في الصّيغة الإنجليزية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«ميث» Meath)، وهي الكلمة التالتية القديمة «ميديون» Medion، أي «الوسط»، التي تتطابق مع «ميديوس» médius اللّاتينيّة. وقد أصبحت هذه المملكة «ميد»، التي تشكّلت من أجزاء منتزعة من الأراضي الأربع الأخرى، مقاطعة خاصّة بملك إيرلندا الأعلى، الذي يخضع له الملوك الآخرون ((214)). وكان ينتصب، في «أوشناغ» Ushnagh، التي تمثّل مركز البلاد تحديدا، حجر عظيم يسمّى «سُرّة الأرض»، ويعرف، أيضا، باسم «حجر الأجزاء» (ailnameeran)، لأنّه يحدّد الجهة التي تتقاطع فيها الخطوط الفاصلة بين الممالك البدئية الأربع، داخل مملكة «ميد». وكان اجتماع عام يشبه تماما اجتماع «الدّرويديّين» السّنويّ في «المكان المخصّص للوسط» ((medio-lanon ou medio-nemeton في بلاد الغال، أرض القرنفل، يقام في غرّة ماي سنويّا؛ فالمقارنة بتجمّع «الأمفيكتيّين» في «دلفي» تفرض نفسها أيضا.

ويتجذّر هذا التّقسيم لإيرلندا إلى أربع ممالك، إضافة إلى المنطقة الوسطى التي كانت مقرّ إقامة الزّعيم الأعلى، في تقاليد قديمة جدّا. وقد كانت إيرلندا، في الواقع، تسمّى «جزيرة الأسياد الأربعة» ((215)) لهذا السّبب، غير أنّ هذه التّسمية، كما تسمية «الجزيرة الخضراء» (Erin) أيضا، كانت تنطبق سابقا على أرض شماليّة أخرى بعيدة، غير معروفة اليوم، وربّما اختفت، وهي «أوجيجي» Ogygie، أو بالأحرى «تولي» Thulé، التي مثّلت أحد أهمّ المراكز الرّوحيّة، إن لم يكن المركز الأعلى نفسه في مرحلة مّا. وتوجد ذكرى لـ«جزيرة الأسياد الأربعة» حتّى في التّقليد الصّينيّ، الذي يبدو أنه لم يُنتبه إليه من قبل أبدا؛ وهذا نصّ طاويّ مصداق لذلك: «لقد بذل الإمبراطور «ياو» Yao مشقّة كثيرة، وتصوّر أنّه حكم على نحو مثاليّ جدّا. وقد علم، بعد أن زار الأسياد الأربعة، في جزيرة «كوشي» Kouchee (التي يسكنها «رجال حقيقيّون»، تشانجان Tchennjen، أي رجال أُدمِجوا في «الوضعيّة البدئيّة» من جديد)، أنّه أفسد كلّ شيء. فمن المثاليّة، أن لا تبالي (أو بالأحرى لا تكترث، للنّشاط الفعّال) بالكائن الخارق ((216)) الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يسمح بدوران الدولاب الكوني ((217)).» ومن ناحية أخرى، يتماهى «الأسياد الأربعة» مع «الماهراجا» Mahârâjas الأربعة أو «الملوك العظماء» الذين يترأسون القمم الأساسيّة الأربع ((218))، بناء على التقليدين الهنديّ والتيبتيّ؛ ويتطابقون، في الوقت نفسه، في العناصر: إذ يُقيم السيّد الأعلى، وهو الخامس، في الوسط، على جبل مقدّس، ومن ثمّة يمثّل «الأثير» (Âkâsha)، أي العنصر الخامس (quinta essentia) من عناصر «الهرامسة»، وهو عنصر بدئيّ يتقدّم العناصر الأربعة الأخرى ((219))؛ كما توجد تقاليد مماثلة في أمريكا الوسطى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل العاشر

أسماء المراكز الرّوحيّة وتمثيلاتها الرّمزيّة

يمكننا، أيضا، الاستشهاد، في ما يتعلّق بـ«المنطقة العلويّة»، بالكثير من التّقاليد المتطابقة الأخرى؛ وتجدر الإشارة، تحديدا، إلى اسم آخر، من المرجّح أنّه أقدم من اسم «باريديش»: هذا الاسم هو «طولا» Tula، الذي اشتق منه الإغريقيّون «ثولي» Thulé؛ وكما رأينا سابقا، فقد تكون «ثولي» مشاكلة لـ«جزيرة الأسياد» البدئيّة. وينبغي أن نلاحظ، كذلك، أن اسم «طولا» نفسه أُطلق على مناطق متباينة جدّا، لأنّنا نعثر عليه، اليوم، مرّة أخرى في روسيا كما في أمريكا الوسطى أيضا؛ فلا شكّ في أنّ الأمر يدعونا بالضّرورة إلى أن نتصوّر أنّ كلّ منطقة من هذه المناطق كان، في حقبة بعيدة نسبيّا، مقرّ سلطة روحيّة يشبه انبثاقها انبثاق «طولا» البدئيّة. ونعلم أنّ «طولا» المكسيكيّة تُدين بأصلها إلى «الطّولتيكيّين» Toltèques؛ ويقال إنّ هؤلاء ينحدرون من «أزتلان» Aztlan، أي «الأرض التي تتوسّط المياه»، التي من الواضح أنّها لم تكن أرضا أخرى غير أرض «أطلنطيد» Atlantide، وقد حملوا هذا الاسم «طولا» إلى وطنهم الأصليّ؛ وهو المركز الذي ربّما اضطرّوا، بشكل من الأشكال، إلى استبداله بمركز القارة المختفية ((220)). ولا بدّ أن نميّز، من ناحية أخرى، بين «طولا» الأطلنطيّة» و«طولا» القطبيّة. وتمثّل هذه الأخيرة، في الواقع، المركز الأوّل والأسمى بالنّسبة إلى مجموع الـ«مانفنتار» الحاليّ؛ إنّها «الجزيرة المقدّسة» المثلى، وكما ذكرنا سابقا، كان موقعها، على وجه التّحديد، قطبيّا في الأصل. ولم تكن كلّ «الجزر المقدّسة» الأخرى، التي أطلقت عليها، في كلّ مكان، أسماء متطابقة المعاني، غير صور عنها؛ وينطبق هذا الأمر حتّى على مركز التّقليد الأطلنطيّ الرّوحيّ، الذي لا يتحكّم إلاّ في دورة تاريخيّة ثانويّة، تابعة لـ«مانفنتار»((221)).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتعني كلمة «طولا» Tulâ، في السنسكريتية، «الميزان»، وتدلّ على علامة البروج الخاصّة بهذا الاسم؛ بيد أنّ «الميزان» السماويّ حسب التّقليد الصّينيّ هو «الدّبّ الأكبر» ((222)) في الأصل. وتتمتّع هذه الملاحظة بأهمّية كبرى، لأنّ الرّمز المتعلّق بالدّبّ الأكبر يرتبط برمز «القطب»((223)) ارتباطا طبيعيّا وثيقا؛ ولا يمكننا التّوسّع في هذه الإشكاليّة التي يتطلّب تناولها دراسة خاصّة ((224)). وقد يكون من الضّروريّ أيضا أن نفحص ما يمكن أن ينعقد من علاقة بين «الميزان» القطبيّ وبرج «الميزان»؛ فضلا عن النّظر إلى هذا البرج باعتباره «علامة القضاء». ويمكن أن نفهم، ممّا ذكرناه سابقا حول الميزان باعتباره صفة للعدالة، في ما يتعلّق بـ«ملكي-صادق»، أنّ اسمه كان تعيينا للمركز الرّوحيّ الأعلى.

ومازالت «طولا» تسمّى بـ«الجزيرة البيضاء»، وقد قلنا إنّ هذا اللّون يمثّل السّلطة الرّوحيّة؛ ويُرمز لـ«أزتلان»، في التّقاليد الأمريكيّة، بجبل أبيض، غير أنّ هذا التّمثيل ينطبق على «طولا» القطبيّة و«الجبل القطبيّ» أوّلا. وفي الهند، تُعتبر «الجزيرة البيضاء» (شفيطا-دويب Shwêta-dwîpa) التي يقع تحديدها، على نحو عامّ، في المناطق الشّمالية البعيدة ((225))، «مقامَ المُبارَكين»، وهو ما يجعلها تُطابق، على نحو بيّن، «أرض الأحياء» ((226)). ومع ذلك، يوجد استثناء ظاهر: وهو أنّ التّقاليد «السّالتيّة» تتحدّث، في الغالب، عن «الجزيرة الخضراء» باعتبارها «جزيرة الأتقياء» أو «جزيرة المُبارَكين»((227))؛ لكن، في وسط هذه الجزيرة، ينتصب «جبل أبيض» يقال إنّ الطّوفان ((228)) لا يغمره، وإنّ قمّته بالذّات في لون الأرجوان ((229)). ولا يختلف «جبل الشّمس» هذا، كما يُطلق عليه، عن «ميرو» في شيء: إذ يحيط بهذا الجبل، وهو «الجبل الأبيض» أيضا، نطاق من الخضرة نظرا إلى موقعه في وسط البحر ((230))، ويتلألأ، في قمّته، مثلّث من الضّوء.

ويجب، عند تعيين مراكز روحيّة من قبيل «الجزيرة البيضاء» (ولنتذكّر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنّ هذه التّسمية يمكن أن تنطبق على مراكز ثانويّة كما تنطبق التّسميات الأخرى، وليس على المركز الأعلى الذي تناسبه بالدّرجة الأولى فحسب)، أن نعيد الرّبط بين أسماء الأماكن، من البلدان أو المدن، المتماثلة في التّعبير عن فكرة البياض. هنالك عدد كبير من «ألبيون» Albion في «ألبانيا» مرورا بـ«ألبا لونغا»Alba Longa، المدينة الأمّ بالنّسبة إلى روما، والمدن الإغريقيّة الأخرى التي تمكّنت من حمل الاسم نفسه ((231))؛ ويملك اسم مدينة «أرغوس»، بين الإغريق، المعنى نفسه ((232))؛ وستتجلّى أسباب هذه الحقائق في ما سنوضّحه في ما بعد.

ونُبدي، أيضا، ملاحظة أخرى حول تمثيل المركز الرّوحيّ بجزيرة، تنغلق على «الجبل المقدّس». ففي الوقت الذي يكون فيه هذا الموضع قد وُجد حقّا (وإن لم تكن كلّ «الأراضي المقدّسة جزرا)، ينبغي أن يمتلك، أيضا، دلالة رمزيّة مّا. وفي الواقع، تعرب الحقائق التّاريخيّة نفسها، خاصّة حقائق التّاريخ المقدّس، بطريقتها الخاصّة عن حقائق نظام أعلى، بمقتضى قانون التّوافق المؤسّس للرّمزيّة، والذي يوحّد كلّ العوالم في التّناغم الكلّي والكونيّ. وتتعلّق الفكرة التي أثارها التّمثيل المقصود، بفكرة «الاستقرار» أساسا، والتي أشرنا بدقّة إلى أنّها خاصّية من خاصّيات «القطب»: إذ تظلّ الجزيرة ثابتة في وسط من الأمواج مضطرب لا هوادة فيه، يمثّل اضطراب العالم الخارجيّ؛ ولا بدّ أن يكون السّالك قد اجتاز «بحر الأهواء» حتّى يبلغ «جبل الخلاص»، في «ملاذ السّلام» ((233)).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل الحادي عشر

تحديد المراكز الرّوحيّة

اجتنبنا، في ما سبق، تقريبا، مسألة التّحديد الواقعيّ «للمنطقة العليا»، وهي مسألة معقّدة جدّا، فضلا عن كونها ثانويّة من وجهة النّظر التي أردنا أن نضعها فيها. ويبدو أنّ هناك ما يدعو إلى التّفكير في عدد من التّحديدات المتعاقبة، والموافقة لمختلف الدّورات، والأقسام الفرعيّة لدورة أخرى ممتدّة، دورة «مانفنتار» Manvantara؛ وإذا تأمّلنا، أيضا، مجموع هذه الدّورة بوضع أنفسنا خارج الزّمن على نحو مّا، فسنلاحظ نظاما هرميّا بين هذه التّحديدات، يوافق تكوّن الأشكال التّقليديّة التي لا تمثّل، في الجملة، إلا مواءمات للتّقليد الأساسيّ والأصليّ الذي يسيطر على كامل الـ«مانفنتار». ومن ناحية أخرى، سنتذكّر، مرّة ثانية، أنّه يمكن، أيضا، أن نرى، في الوقت نفسه، فضلا عن المركز الرّئيسيّ، عدّة مراكز أخرى ترتبط به كأنّها صور متعدّدة عنه، وهو ما يمثّل مصدر التباس يسهل الوقوع فيه، لا سيما إنّ هذه المراكز الثّانويّة، بوصفها مراكز خارجيّة، أظهر من المركز الأعلى ((234)).

وحول هذه النّقطة، سبق أن أشرنا، على نحو خاصّ، إلى التّشابه بين «لاسّا» Lhassa، مركز «اللّاميّة»، و«الأُغَزطَهَا»؛ وسنُضيف، الآن، أنّنا نعرف، حتّى في الغرب نفسه، مدينتين على الأقلّ يمثّل وضعاهما الطّبوغرافيّان بالذّات ميزتين تملكان، في الأصل، مبرّر الوجود نفسه: إنّهما «روما» و«أورشليم» (وقد رأينا سابقا أنّ «أورشليم» كانت في الواقع صورة مرئيّة عن «سلام» «ملكي-صادق»). وقد وجد، في العصور القديمة، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، ما يمكن تسميته بجغرافيّة مقدّسة، أو كهنوتيّة، لم يكن موقع المدن والمعابد اعتباطيّا، بل محدّدا وفق قوانين دقيقة جدّا ((235))؛ يمكن، من خلالها، أن نشعر بالرّوابط التي كانت توحّد «الفنّ الكهنوتيّ» و«الفنّ الملكيّ» بفنّ البنّاة ((236))، وكذلك الأسباب التي جعلت المؤسّسات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القديمة تملك تقليدا مُساريًا حقيقيًا ((237)). فضلا عمّا بين تأسيس مدينة وبناء عقيدة (أو شكل تقليديّ متجدّد، عن طريق مواءمة الشّروط المحدّدة للزّمان والمكان) من علاقة من قبيل اتّخاذ الأولى رمزا للثّانية ((238)) في غالب الأحيان. وبطبيعة الحال، ينبغي اتّخاذ الاحتياطات الخاصّة عندما يتعلّق الأمر بتحديد موقع مدينة كان القصد منها أن تصبح، بطريقة أو بأخرى، عاصمة لجزء من العالم كلّه؛ وربّما تستحقّ أسماء المدن، وكذلك ما يتعلّق بظروف تأسيسها، دراسة متأنّية من هذه الزّاوية ((239)).

ونُضيف، دون الخوض في تلك الاعتبارات التي لا تتعلّق بموضوعنا إلاّ على نحو غير مباشر، أنّ مركزا من النّوع المذكور وُجد في «كريت» في الحقبة التي سبقت الهيلينيّة ((240))، ويبدو أنّ عدّة مراكز وجدت في مصر، من قبيل «ممفيس» و«طيبة»((241))، يُرجّح أنّها تأسّست في عصور متعاقبة. ويجب أن يحظى اسم مدينة «طيبة»، الذي كان اسما لمدينة إغريقيّة أيضا، باهتمامنا الخاصّ، باعتباره اسما لمراكز روحيّة، ولتطابقه الظّاهر مع اسم «طيبة» Thebah العبريّ، الذي يعني «سفينة الطّوفان». وتمثّل هذه السّفينة، أيضا، المركز الأعلى، لا سيما بالنّظر إلى أنّها ضمان المحافظة على التّقليد، كما في حالة التّلفيف ((242))، في الفترة الانتقاليّة التي تشبه الفاصل الزّمنيّ بين دورتين، والتي تتّسم بكارثة كونيّة تدمّر الحالة السّابقة للعالم لتفسح المجال لحالة جديدة ((243)). ويشبه دور «نوح» التّوراتيّ ((244)) الدّور الذي كان يضطلع به «صاتيافراط» Satyavrata في التّقليد الهندوسيّ، والذي أصبح، في ما بعد، يسمّى «فايفاصواطا»، «مانو» الدّورة الحاليّة؛ ولكن تجدر الإشارة إلى أنّه حين يتعلّق التّقليد الهندوسيّ ببداية «المانفنتار» الحاليّ((245))، فإنّ الطّوفان التّوراتيّ يَسِم، فقط، بداية دورة أخرى أكثر حصرا، ومشمولة بهذا «المانفنتار» نفسه: إذ لا يتعلّق الأمر بالحادثة نفسها، بل بحادثتين متشابهتين((246)).

وتجدر الإشارة، أيضا، إلى العلاقة القائمة بين رمزية «السّفينة» l'Arche

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورمزيّة «قوس قزح» l'Arc-en-ciel، وهي العلاقة التي يُشار إليها، في النّص التّوراتيّ، بظهور «قوس قزح» بعد الطّوفان، باعتباره علامة عهد بين الله والمخلوقات الأرضيّة ((247)). وتطفو السّفينة، أثناء الكارثة، على محيط من المياه السّفليّة؛ ويظهر قوس قزح «في الغيمة»، أي في منطقة المياه العلويّة في اللّحظة التي تشير إلى عودة النّظام وتجدّد كلّ الأشياء. إذن، يتعلّق الأمر بعلاقة مشابهة بالمعنى الدّقيق للكلمة، أي إنّ الوجهين متعاكسان ومتكاملان؛ إذ تتشكّل من قعر السّفينة، وحدبة قوس قزح، صورة دائريّة أو حلقيّة كاملة، يمثّلان، معا، نِصفيها ((248)). وقد كانت هذه الصّورة، في الواقع، كاملة في بداية الدّورة: إنّها القسم العموديّ من كرة يتمّ تمثيل قسمها الأفقيّ بالسّياج الدّائريّ للفردوس الأرضيّ ((249))؛ وهو مقسّم بصليب يُشكّل الأنهار الأربعة النّابعة من «الجبل القطبيّ»((250)). ولا بدّ من عمليّة إعادة البناء في نهاية الدّورة نفسها؛ ولكن تُستبدل الدّائرة، حينئذ، بمربّع ((251)) في صورة «أورشليم» السّماويّة. وهذا يشير إلى تحقّق ما يعبّر عنه الهرامسة، رمزيّا، بـ«تربيع الدّائرة»، فتتحوّل الكرة، التي تمثّل تطوّر الممكنات عبر التّوسّع من النّقطة الأصليّة والمركزيّة، إلى مكعّب عندما يكتمل هذا التّطوّر، ويبلغ التّوازن ذروته بالنّسبة إلى الدّورة المعنيّة ((252)).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملك العالم

الفصل الثّاني عشر

بعض الاستنتاجات

يتجلّى استنتاج واخد من بين الشّواهد المتطابقة لكلّ التّقاليد الرّوحيّة، وهو التّأكيد على وجود «أرض مقدّسة» مميّزة، إنّها نموذج لكلّ «الأراضي المقدّسة» الأخرى، ومركز روحيّ تتبعه كلّ المراكز الأخرى. و«الأرض المقدّسة» هي، أيضا، «أرض القدّيسيّين» و«أرض المباركين» و«أرض الأحياء» و«أرض الخلود»؛ وكلّ هذه التّعابير متكافئة، يجب أن نضيف إليها أيضا، عبارة «الأرض الصّافية»((253))، التي أطلقها أفلاطون على «مقام المباركين»((254)) تحديدا. وعادة ما يتحدّد هذا المقام في «عالم لامرئيّ»؛ ولكن إذا أردنا أن نفهم ما يتعلّق به، ينبغي ألّا ننسى ما فيه، كذلك، من «تراتبيّات روحيّة»، تحدّثت عنها كلّ التّقاليد أيضا، وتمثّل، في الواقع، درجات في المُسارّة ((255)).

وفي الواقع، لم تكن هذه «الأرض المقدّسة»، التي دافع عنها «الحُرّاس» الذين أخفَوْها عن عيون البشر الفانين، وإن ضمنوا بعض الرّوابط الخارجيّة، لامرئيّة ومتعذّرا دخولها، في الفترة الحالية من دورتنا الأرضيّة، أي في الـ«كالي-يوغا»، إلاّ بالنّسبة إلى أولئك الذين لا يملكون المؤهّلات اللاّزمة لدخولها. هل ينبغي، الآن، أن يُنظر إلى موقعها في منطقة معيّنة باعتباره مؤثّرا بالمعنى الحرفيّ للكلمة أو باعتباره رمزا فحسب أو باعتباره هذا وذاك في الوقت نفسه؟ سنجيب عن هذا السّؤال ببساطة، إنّ المواقع الجغرافيّة نفسها وكذلك الوقائع التّاريخيّة تتمتّع، بالنّسبة إلينا، مثل غيرها، بقيمة رمزيّة، من البديهيّ، أيضا، أنّها لا تُلغي شيئا من حقيقتها الخاصّة باعتبارها وقائع، بل تُضفي عليها، فضلا عن هذه الحقيقة المباشرة، دلالة سامية ((256)).

لا ندعي أنّنا قلنا كلّ ما يمكن قوله في الموضوع الذي تتعلّق به الدّراسة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحاليّة، وبعيدا عن ذلك، لا شك في أنّ أوجه التّشابه التي حدّدناها قد توحي بالمزيد منها؛ ومع ذلك، فقد تكلّمنا أكثر ممّا قمنا بإنجازه إلى حدّ الآن حقًا، وقد يميل بعض الأشخاص إلى إلقاء اللّوم علينا. ولا نعتقد أنّ هذا اللّوم مبالغ فيه، بل إننّا مقتنعون بأنّه لا يوجد، هنا، شيء لا ينبغي علينا قوله، وإنْ كنّا أقلّ ميلا من أيّ شخص آخر إلى إنكار وجود سبب للتّفكير في مسألة النّفعيّة عندما يتعلّق الأمر بعرض أشياء معيّنة ذات طابع غريب إلى حدّ مّا في فضاء عامّ. وفي ما يتعلّق بمسألة النّفعيّة هذه، يمكننا أن نقتصر على ملاحظة موجزة: إنّ الأحداث، في الظّروف التي نعيش فيها الآن، تجري بسرعة كبيرة جدّا حتّى إنّ الأشياء التي مازالت لم تظهر أسبابها بعد يمكن أن نجد لها تطبيقاتٍ غير متوقّعة على الفور أو لا يمكن التّنبؤ بها تماما قبل أن نهمّ بتصديقها. ونريد الامتناع عن كلّ ما يشبه «التّنبؤات» من قريب أو بعيد؛ ومع ذلك نودّ أن نقتبس هنا، كي نختم، هذه الجملة لـ«جوزيف دو ماستر»((257))، وهي اليوم أكثر صحّة ممّا كانت عليه قبل قرن من الزّمان: «يجب أن نكون مستعدّين لحدث هائل في النّظام الإلهيّ»، نسير نحوه بسرعة ينبغي أن تثير كلّ المراقبين. وقد أعلنت النّبوءات المروّعة أنّ السّاعة قد حانت.»

---

(1) - رينيه غينون René Guénon (1886-1951)، وقد تسمّى بعبد الواحد يحيى بعد إسلامه. من أهمّ أعلام الفكر الغربيّ في القرن العشرين، ولد بفرنسا وتوفّي بالقاهرة، نشر العديد من الأعمال المتعلّقة بالميتافيزيقا والعرفانيّات.

(2) - من المهمّ بالنسبة إلينا أن نشير إلى المجهود الكبير الذي بذله المفكّر الجزائري عبد الباقي مفتاح (1952-؟) في ترجمة كتب رينيه غينون، غير أنّها انطبعت بنزعة واضحة إلى مركزة هذا الجهد في بيئة المترجِم وثقافته، ممّا أفقدها خصوصياتها الحضاريّة المميزة، وخاصّة صدورها عن عقل غربيّ بالأساس.

(3) - اعتمدنا على بعض المصادر الصّوتيّة المتاحة في شبكة الإنترنيت لرسم هذه الكلمة، وكلمات أخرى تشترك معها في الأصل السّنسكريتي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(4) - René Guénon, Le symbolisme de la Croix, Vega, Paris, 1957, p .156.

(5) - يمكن أن نشير إلى ظهور ما يسمى بـ«الرّواية العرفانيّة» Le roman ésotérique في عصرنا باعتباره دليلا على انسراب الأبعاد الروحانية إلى مجال الأدب، ولعلّ أشهر الأعمال الدّالة على ذلك في هذا الجنس، رواية «امبرتو إيكو» Umberto Eco «شفرة دا فنشي»Da Vinci Code. ولا يفوتنا أن نذكر بتأثر هذا الناقد والروائي الألمعيّ بأعمال «غينون» التي ناقشها في كتابه النقديّ «حدود التأويل» Les Limites de l'interprétation واستلهمها في روايته «بندول فوكو» Le Pendule de Foucault.

(6)- Agarttha

(7) -سان-إيف دلفيدير (1842-1909) Saint-Yves d'Alveydre، عام موسوعيّ وشاعر فرنسيّ

(8) - 2e éd., 1949.

(9) - Brahmâtmâ

(10)- Les Fils de Dieu, pp. 236, 263-267, 272 ; Le Spiritisme dans le Monde, pp. 27-28.

ولويس جاكويو (1837-1890) Louis Jacolliot، هو كاتب فرنسيّ مهتمّ بالسّنسكريتيّة، وعمل محاميا في الهند.

(11) - فرديناند أوسندوفسكي (1876-1945)Ferdinand Ossendowski كاتب ورحّالة بولوني.

(12)- Bohémiens

(13) - ورد في الهامش: «ينبغي، في هذا الصّدد، أن نقول إنّ وجود شعب مّا في «محنة»، والبوهيميّون من أكثر الأمثلة الدّالة على ذلك، هو في الواقع أمر غامض جدّا، وقد يتطلّب فحصا متأنّيا.

(14) - أشار الدّكتور «أرتورو ريجيني» Dr Arturo Reghini إلى أنّ هذا الأمر يمكن أن تكون له علاقة برَهبة القدامى أمام المقدّس؛ وبالفعل، تبدو لنا هذه المقاربة محتملة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(15) - ديودور الصقلّي Diodore de Sicile (القرن الأول قبل الميلاد) مؤرّخ يونانيّ، عرف بموسوعته «خزانة التّاريخ».

(16) - ورد في الهامش ما يلي: «أراد معارضو السيّد «أوسندوفسكي» أن يشرحوا الواقعة نفسها مدّعين أنه كان بحوزته ترجمة روسية لكتاب «مهمة إلى الهند»، وهي ترجمة يمثل وجودها أكثر من إشكال، لأنّ ورثة «سان إيف» أنفسهم يجهلونها تماما. – وقد وجهت للسّيّد أوسندفسكي، كذلك، انتقادات لكتابته «أم» Om، بينما كتب «سان إيف» أم» Aum؛ لكن إذا كانت أم Aum تمثل المقطع المقدّس مقسّما إلى عناصره التركيبية حقا، فإنّ رسم «أم» Om، بالرغم من ذلك، هو الرسم الصحيح الذي يتوافق مع النطق الحقيقي، كما هو موجود في كلّ من الهند والتيبت ومنغوليا؛ هذه التفاصيل كافية للسماح بتقدير كفاءة بعض الانتقادات.»

(17) - التنظيم الهُساريّ la hiérarchie initiatique: ينظم طقوس العبور التي تقام بمناسبة التعميد المسيحي والدخول في «أخوية» أو جمعية سريّة أو دينية إلخ.

(18) - الدالاي لاما Dalaï-Lama: القائد الأعلى للبوذيين التّيبتيّين.

(19) - أورغا Ourga هو الاسم القديم لـ«أولان باتر» Oulan-Bator العاصمة الحالية لمنغوليا.

(20) - ورد في الهامش ما يلي: «يبحث السيّد «أوسندوفسكي، الذي لا يعرف أنّ الأمر يتعلّق بأحد النيازك، عن تفسير لبعض الظواهر، من قبيل الحروف التي تظهر على سطحه، مفترضا أنّها ضرب من الألواح.»

(21) - كوبيلي Cybèle : إلهة الجبال والطبيعة والخصوبة لشعوب منطقة آسيا الصغرى إلى حدود القرن السادس قبل الميلاد.

(22) - ورد في الهامش: «ربّما وُجد، كذلك، تقارب غريب بين «اللابسيت إكسيليت» «Le Lapsit exillis، الحجرة السّاقطة من السّماء التي تظهر عليها نقوش في ظروف معيّنة و«الكأس المقدّسة» Le Graal في رواية «فولفرام فون إشنباخ» Wol-fram d'Eschenbach. وما يجعل هذا الأمر أكثر تفرّدا هو أنّ «الكأس المقدّسة»، وفق هذه الرّواية، نُقلت إلى «مملكة القديس جون» أخيرا، وقد أراد البعض نسبتها إلى «منغوليا» على وجه الدّقّة، على الرّغم من أنّه لا يوجد أيّ موقع جغرافيّ يمكن القبول به حرفيّا (راجع «روحانيّة دانتي»، ط 1957، صص 36-35، وانظر، كذلك، المعلومات التّالية).

(23) - الملك المقدّس لمنغوليا بين سنتي 1911 و1924.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(24) - سفاستيكا Swastika, كلمة سنسكريتية، تستعمل للإحالة على رمز الصليب المعقوف.

(25) - ورد في الهامش ما يلي: «لقد استغربنا كثيرا عندما علمنا مؤخرا أنّ بعض الأشخاص يزعم تمرير هذا الكتاب على أنّه «شهادة» تدعم شخصيّة مّا مثّل وجودها في حدّ ذاته أمرا مجهولا تماما بالنّسبة إلينا في الفترة التي كتبناه فيها؛ ونعارض الإنكار الشّكليّ المجرّد لأيّ تأكيد من هذا النّوع، ومن أيّ ناحية قد يأتي، لأنّ الأمر، بالنّسبة إلينا لا يتعلّق إلّا بعرض معطيات تنتمي إلى الرّمزيّة التّقليديّة وليس لها أيّة علاقة بأيّ ضرب من «التّجسيدات» إطلاقا.

(26) - مانو Manu: يمثّل في الهندوسية أوّل إنسان على الأرض. ومنزلته فيها كمنزلة آدم في الدّيانات الإبراهيميّة.

(27) - مينا أو ميناس le Mina ou Ménès: فرعون مصريّ قديم من عصر «الأسرات المبكّرة»، استطاع أن يُوحّد المملكتين الشّماليّة والجنوبيّة حوالي 3200 ق.م.

(28) - مينو Menw شخصيّة أسطوريّة متداولة في الأدبيات الويلزيّة الأولى، اختاره الملك «آرثر» ليكون من بين المحاربين المقرّبين إليه لقدرته على التّحوّل.

(29) - مينوس Minos: ابن زيوس وأوروبا، وملك «كريت» Crète الأسطوريّ. وقد ورد في الهامش ما يلي: «كان «مينوس» عند الإغريق، المشرّع للأحياء والقاضي للموتى في الوقت نفسه؛ وتنتمي هاتان الوظيفتان في التقليد الهندوسي على التوالي إلى «مانو» Manu و«ياما» Yama، ولكن يتمّ تقديمهما، بالإضافة إلى ذلك، على أساس أنّهما أخوان توأمان، ممّا يشير إلى أنّ الأمر يتعلّق بمضاعفة لمبدأ واحد، يُنظر إليه من جانبين مختلفين.

(30) - الدارما Dharma تعني في الدّيانات الهندية، من قبيل البوذيّة والهندوسيّة، التّرتيب الخفيّ الذي ينظّم سير الطّبيعة والحياة الإنسانيّة وسلوك المخلوقات والحياة.

(31) - أيوديا Ayodhyâ : مدينة الهندوس المقدّسة، تقع في شمال الهند، وقد أسسها «مانو». وقد ورد في الهامش ما يلي: «إذا نظرنا إلى مقرّ «السلالة الشمسية» رمزيا، فقد تقترن بـ«القلعة الشمسية» للورديّين (Les Rosé-Croix) وكذلك بـ«مدينة الشمس» لكامبنيلّا (Campanella)

(32) - في-فاصواطا Vai-vaswata ويعني في السّنسكريتية «ابن الشمس» سابع أبناء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«مانو»، ومؤسس «السلالة الشمسية». تعلّقت به أولى أساطير الطوفان. والدورة الحالية هي دورة ما بعد الطوفان.

(33) - ورد في الهامش: «في الواقع، لم تُستخدم تسمية «الكنيسة البراهميّة» في الهند إلا من قبل طائفة «براهما ساماج»Brahma-Samâj المبتدعة والحديثة جدا، التي ظهرت في بداية القرن التاسع عشر بتأثيرات أوروبية، خاصة بروتستانتية، والتي انقسمت إلى عدّة فروع متنافسة بسرعة. وقد أفِلت اليوم بالكامل تقريبا؛ ومن الغريب أن نسجّل أن أحد مؤسّسي هذه الطائفة كان جدّ الشاعر «رابرندرانات طاغور».

(34) - الحبر الأعظم le Pontifex: وقد اطلق هذا اللّقب على أعلى قسّيس في «هيئة الأحبار بروما القديمة»، وهو من أهم المناصب في المؤسسة الدينية الرومانية. ويتناول المؤلّف ها هنا أبعاد هذه الكلمة الاشتقاقية، خاصة معناها الأول الذي يحيل إلى صانعي الجسور، لا سيما إن كلمة Pont تعني في الأصل «الجسر».

(35) - ينبغي أن نضع في منظورنا المعنى الأول لكلمة «ماسوني» وهو «البنّاء»، ولذا سمّيت هذه المنظمة أحيانا بـ «البنّاؤون الأحرار».

(36) - ورد في الهامش: «يقول القدّيس برنار إنّ عبارة «الحبر الأعظم» كما يشير أصلها اللّغوي، هي جسر مَا بين الله والإنسان» ((Tractatus de Moribus et Officio episcoporum, III, 9. – ويوجد في الهند مصطلح خاص باليانية (أو الجاينية Jainas)، وهو المعادل الدّقيق لعبارة «الحبر الأعظم» اللاتينية: إنّه «تيرثامكارا» Tîrtham-kara، الذي يعني حرفيّا «من يعبر النّهر أو يمرّ»؛ والعبور المقصود هو طريق النّجاة (موكشا Moksha). ويبلغ عدد «الثيرثامكاريّين» أربعة وعشرين، مثل مشايخ الكهنة، الذين يشكّلون، فضلا عن ذلك، هيئة الأحبار».

(37) - إيريس Iris: إلهة قوس قزح في الأساطير الإغريقيّة.

(38) - الجانوسيّة، نسبة إلى جانوس (أو يانوس Janus)، إله البوّابات والمداخل والمخارج والمعابر والطّرق والممرّات في الأساطير الإغريقية، له وجهان: أحدهما ملتفت إلى المستقبل والآخر إلى الماضي.

(39) - طقوس المسارة Initiation، وتسمّى طقوس التّلقين وشعائر الإدخال أيضا. تتعلّق بالانتقال من مرحلة إلى مرحلة أعلى، لا سيما انتقال الكهنة العاديّين إلى مراتب كهنوتيّة سرّيّة.

(40) - ورد في الهامش: «مثل هذان المفتاحان، من وجهة نظر أخرى، على التّوالي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«الأسرار الكبرى» و«الأسرار» الصّغرى». – ويرمز، كذلك، في بعض التّمثيلات «الجانوسية» إلى القوّتين بمفتاح وصولجان.

(41) - نسبة إلى «الكشاتريا» Kshatriya طبقة اجتماعيّة هنديّة، تكوّنت، في الأصل، من النّخبة الحاكمة والعسكريّة، فكانت تحكم زمن السّلم وتحارب زمن الحرب. وينتمي «بوذا» إلى أسرة من «الكشاتريا».

(42) - ورد في الهامش: «لاحظْ، في هذا الصّدد، أنّ التّنظيم الاجتماعيّ في العصور الوسطى الغربيّة يبدو، من حيث المبدأ، مستنسخا من مؤسّسة الطّوائف: يتطابق رجال الدّين مع «البراهانيّين»، والنّبلاء مع «الكشاتريائيّين»، والطّبقة الثّالثة مع «الفايشائيّين» Vaishyas والأقنان مع «الشّودرائيّين» Shûdras.

(43) - النّسطوريّة les Nestoriens، مذهب مسيحيّ، يُنسب إلى «نسطور» بطريرك القسطنطينيّة الذي اختلف عن المسيحيّين في وصفه لمريم العذراء الذي تضمّن موقفا من المسيح نفسه، إذ اعتبره ممثلا لصلة الإنسان بربّه لا موحّدا بين الطّبيعتين البشريّة والإلهيّة في شخص المسيح.

(44) - ورد في هامش الصّفحة: «تمّ العثور في آسيا الوسطى، خاصّة في منطقة تركستان على صلبان نسطوريّة تشبه في شكلها صلبان الفرسان تماما، إضافة إلى أنّ بعضها يحمل في وسطه شكل الصّليب المعقوف. – وتجدر الإشارة، من ناحية ثانية، إلى أنّ النّسطوريّين، الذين تبدو علاقاتهم مع «اللاّميّة» غير قابلة للجدال، يملكون تأثيرا مهمّا على بدايات الإسلام، وإن كان غامضا. وكان للصّابئة، من جهتهم، تأثير كبير على العالم العربيّ زمن خلفاء بغداد؛ ويدّعي البعض أيضا أنّ آخر الأفلاطونيّين الجدد قد لجؤوا إليهم بعد مكوثهم في بلاد فارس.

(45) - ورد في الهامش: «ورد ذكر «القسّيس يوحنّا»، خاصّة، في رحلات «كاربين» Carpin و«روبروكيس» Rubruquis في حقبة القدّيس «لويس». ويزيد الأمر تعقيدا وجودُ ما يقارب الأربع شخصيّات، حسب بعض الأشخاص، تحمل هذا اللّقب: في التّيبت (أو على جبال «بامير» Pamir) ومنغوليا والهند وفي أثيوبيا (ويملك هذا الاسم الأخير، من ناحية أخرى، معنى غامضا جدّا)؛ ولكن من المرجّح أنّ الأمر لا يتعلّق هنا إلا بممثّلين مختلفين للسّلطة نفسها. ويُقال، كذلك، إنّ «جنكيز خان» أراد مهاجمة مملكة القدّيس يوحنا، إلاّ أنّ هذ الأخير ردّه على أعقابه بإثارة البرق على جيوشه. وفي الأخير، امتنع «القديس يوحنّا» عن التّجلّي منذ حقبة الغزوات الإسلاميّة، وسيمثّله «الدّالاي لاما» على نحو خارجيّ.»

(46) - «شيخ الجبل» Le Vieux de la Montagne، هي التّسميّة التي أطلقها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصّليبيّون على زعيم الحشّاشين «الحسن بن الصّباح».

(47) - ورد في الهامش: «لقد أشرنا بالفعل إلى هذه الخاصّيّة في دراستنا حول «روحانيّة دانتي» L'Ésotérisme de Dante.

(48) - ورد في الهامش: «ومن ناحية أخرى، كان الامبراطور، في روما القديمة، حبرا أعظم في الوقت نفسه. – كما توحّد النظرية الإسلاميّة للخليفة السّلطتين، إلى حدّ مّا على الأقل، فضلا عن تصوّر الشّرق الأقصى للوانغ Wang [الملك في السّنسكريتيّة (المترجم)] (انظر «الثّالوث الأعظم» La Grande Triade، الفصل السّابع عشر).

(49) - ورد في الهامش: «لاحظنا في مكان آخر التّشابه الموجود بين تصوّر «شاكرافارتي» وفكرة «الإمبراطورية» لدى «دانتي»، الذي يجدر، هنا، في هذا الصدد، التّذكير بأطروحته «دو موناركيا» De Monarchia (= في المَلَكيّة).

(50) - من ألقاب بوذا، يدل على نسبه إلى قبيلة «الشّاكيا» Shakya في شمال الهند قديما.

(51) - ورد في الهامش: «يستخدم التّقليد الصّينيّ عبارة «وسيط ثابت» في معنى مشابه تماما. – وتجدر الإشارة إلى أنّ المعلّمين، وفقا للرّمزيّة الماسونيّة، يجتمعون في «القاعة الوسطى».

(52) - ورد في الهامش: «لقد حوفظ على الرّمز السّالتيّ في القرون الوسطى؛ ويمكن العثور على عدّة أمثلة في الكنائس الرّومانيّة، ويبدو أنّ الورديّات القوطيّة نفسها مشتقّة منه، فهنالك علاقة محدّدة بين العجلة والزّهور الأيقونيّة من قبيل الوردة في الغرب واللّوتس في الشّرق.

(53) -ورد في الهامش: «لم تكن هذه العلامة نفسها غريبة عن الهرمسيّة المسيحيّة: لقد رأينا، في الدّير الكرمليّ القديم بـ«لودان» (Laudun مقاطعة بوسط غرب فرنسا) رموزا غريبة جدّا، ربّما يرجع تاريخها إلى المنتصف الثّاني من القرن الخامس عشر، ويحتلّ فيها الصّليب المعقوف، مع العلامة ⋈ التي سنتحدّث عنها لاحقا، مكانة مهمّة. ومن الأفضل أن نشير بهذه المناسبة إلى أنّ الكرمليّين، الذين جاؤوا من الشّرق، يربطون أساس شريعتهم بإلياس وفيثاغورس (كما تتعلّق الماسونيّة، من جهتها، بكلّ من سليمان وفيثاغورس نفسه، وهو ما يمثل تشابها ملحوظا إلى حد مّا)، ويدّعي بعضهم، من جهة أخرى، أنّ لديهم في القرون الوسطى عقيدة مشابهة جدّا لعقيدة «فرسان الهيكل»، فضلا عن عقيدة «أتباع دين الرّحمة»؛ إنّنا نعلم أنّ هذا النّظام الأخير جعل اسمه رتبةً للماسونيّة الإسكتلنديّة التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحدّثنا عنها، بإسهاب، في كتاب «روحانيّة دانتي».

(54) - ورد في الهامش: «تنطبق الملاحظة نفسها، بشكل خاصّ، على العجلة التي سنأتي على ذكر معناها الحقيقيّ أيضا.

(55) - ورد في الهامش: لن نستشهد إلا من أجل الاحتفاظ بالرّأي، فمن يجعل الصّليب المعقوف خطاطة لأداة بدائيّة مخصّصة لإشعال النّار، فقد أغرق في الخيال أكثر من أيّ شخص آخر؛ وإذا كان لهذا الرّمز علاقة معيّنة بالنار في بعض الأحيان بما أنه شعار «آغني» Agni (= إله النّار في الهندوسيّة) تحديدا، فذلك لأسباب أخرى تماما.

(56) - تعني Rex في أصلها اللّغويّ اللاّتينيّ «ملك». وكذلك تُحيل regere على القيادة والسّيادة والمراقبة.

(57) - ورد في الهامش: يعبّر الجذر «دري dhri، بالأساس، على فكرة الاستقرار؛ وشكل «دري» الذي يمتلك المعنى نفسه، هو جذر «دريفا» Dhruva، الاسم السّنسكريتيّ للقطب. ويُقارنه البعض بالاسم الإغريقيّ لشجرة البلوط Drus؛ فضلا عن أنّ الاسم Robur في اللاتينيّة يدلّ على شجرة البلوط والقوة أو الصّلابة في الوقت نفسه. وكما لدى «الدرويديّين» Druides (ربما ينبغي أن يُقرأ اسمهم «دري-فيد» dru-vid، جامعا بين القوّة والحكمة)، فإنّ البلّوط يمثّل في «دودونا» Dodone «شجرة العالم»، ورمز المحور الثابت الذي يربط بين القطبين.

(58) - يجب أن نتذكّر هنا النّصوص الإنجيليّة التي يرتبط فيها العدل بالسّلام على نحو وثيق: « Pax opus Justitiæ » (Ps., LXXXIV, 11), « Justitia et Pax osculatæ sunt » إلخ.

(59) - la Shekinah et Metatron

(60) - ورد في الهامش: «يوجد، إضافة إلى ذلك، فرق معنويّ كبير بين «العالم» و«هذا العالم»، إلى درجة أنّه يوجد في بعض اللّغات مصطلحان مختلفان تماما لتحديدهما؛ هكذا في العربية le Monde هو «العالم»، بينما ce monde هو «الدّنيا».

(61) - إلياس لو-فيتا Elias Le-vita (1469-1549) كاتب ومترجم يهوديّ ألمانيّ.

(62) - فيليود Paul Vulliaud (1875-1950)، كاتب ومترجم ورسّام فرنسيّ.

(63) - « Gloria in excelsis Deo, et in terra Pax hominibus bonæ voluntatis »

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(64) - Emmanuel عمانوئيل من ألقاب المسيح. ويعني في العبريّة «الله معنا» أو «الله فينا».

(65) - تطويبيّة، نسبة إلى طوبى.

(66) - بالإضافة إلى ذلك، أعلن في الإنجيل نفسه، على نحو صريح جدًا، أنّ ما يدور حوله ليس «السّلام» بالمعنى الذي يفهمه عالم الدّنس (القديس يوحنا، الرّابع عشر، 27).

(67) - La Kabbale juive, t. I, p. 503

(68) - La Kabbale juive, t. I, pp506-507.. واليوبيل Jubilé اسم عبريّ يعني «بوق الخروف» أو «النّفخ في البوق» بمناسبة بمرور خمسين سنة.

(69) - السّفروت Sephiroth، تعني في العبريّة الانبثاق والفيض، وتمثّل الصّفات العشر التي انبثقت عن النّور الأبديّ.

(70) - ورد في الهامش: «تمّ التّعبير عن رمزيّة تشبهها إلى حدّ بعيد بصورة «شجرة الأحياء والأموات» القروسطيّة، التي لها علاقة واضحة بفكرة «الآخرة»؛ وتجدر الإشارة إلى أنّ الشّجرة السّفروتيّة تعتبر، كذلك، تعريفا لـ«شجرة الحياة».

(71) - في الهامش: «يملك الله، وفق التّلمود، كرسيّين، كرسيًا للعدالة وآخر للرّحمة؛ ويتلاءم الكرسيّان، أيضا، مع «العرش» و«الكرسيّ» في التّقليد الإسلاميّ. ومن ناحية أخرى، يقسّم هذا التقليد الأسماء المقدّسة الصّفاتيّة، التي تعبّر عن الصّفات الخاصّة بالحديث عن الله، إلى «أسماء جلاليّة» و«أسماء جماليّة»، وهو ما يستجيب، مرّة أخرى، لتمييز من النّظام نفسه.

(72) - La Kabbale juive, t. I, p. 507

(73) - في الهامش: «تمثّل اليد اليمنى، بالنّسبة إلى «سان أوغسطين» والعديد من آباء الكنيسة الآخرين الرّحمة أو الخير أيضا، بينما ترمز اليد اليسرى للعدالة، بالنّسبة إلى الله خاصّة. ف«يد العدالة» واحدة من الصّفات المعتادة للمَلَكيّة؛ وأما «يد البركة»، فهي علامة على السّلطة الكهنوتيّة، وقد اتّخذت أحيانا رمزا للمسيح. – وقد عُثر على هذه الصّورة لليد المباركة في بعض العملات «الغاليّة»، وكذلك على الصّليب المعقوف، بأغصان مقوّسة أحيانا.»

(74) - في الهامش: «يمكن وصف هذا المركز، أو أيّ من تلك المراكز التي تشكّلت على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صورته، على نحو رمزيّ باعتباره، في الوقت نفسه، معبدا (وهو جانب كهنوتيّ يتلاءم مع السّلام) وقصرا أو محكمة (وهو جانب ملكيّ يتوافق مع العدالة).

(75) - في الهامش: «يتعلّق الأمر بنصفي دورة البروج التي كثيرا ما نجدها مرسومة على بوّابة الكنائس القروسطيّة بهيئة تمنحها الدّلالة نفسها على نحو جليّ.

(76) - غانيشا، Ganêsha إله البدايات في الهندوسيّة، إله برأس فيل.

(77) - La Kabbale juive, t. I, pp. 497-498.

(78) - عدد كلّ واحد من هذين الاسمين، الذي يتمّ الحصول عليه بجمع قيم الأحرف العبريّة التي يتكوّن منها، هو 314. (المترجم)

(79) - نسبة إلى الصّليب الورديّ (عُرّف سابقا).

(80) - t. 1, pp. 492 et 499. La Kabbale juive

(81) - ملاك حَضْرَتِه l'Ange de la Face، ورد ذكره في إنجيل إشعيا 9 /63.

(82) - t. 1, pp. 500-501. La Kabbale juive

(83) - تذكّر الملاحظة الأخيرة بهذه الكلمات على نحو طبيعي: «طوبى لمن يأتي باسم الرّبّ Benedictus qui venit in nomine Domini»؛ وهي تنطبق على المسيح، الذي يماثله «راعي هرمس» le Pasteur d'Hermas مع ميكائيل تماما، وعلى نحو قد يبدو غريبا. لكن لا ينبغي أن يثير استغراب أولئك الذين يدركون العلاقة الموجودة بين «المسيح» و«الشّكيناه». فالمسيح يدعى، كذلك، «أمير السّلام» و«قاضي الأحياء والموتى» في الوقت نفسه.

(84) - يتكوّن هذا العدد من اسم «صوراط» Sorath على وجه التّحديد، وهو شيطان الشّمس، وهكذا يُقابِل الملاك «ميكائيل»؛

(85) - Cité par M. Vulliaud, La Kabbale juive, t. II, p. 373.

(86) - يتهيّأ الجانبان في ثعباني الصّولجان تحديدا؛ ويتّحد الثّعبانان، في الأيقونات المسيحيّة، في الأمفيسبينا l' amphisbène، وهي أفعى برأسين، يمثّل أحدهما «المسيح» والآخر «الشّيطان».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(87) - فلنشر، مرّة أخرى، إلى أنّ «كرة العالم»، علامةُ السّلطة الإمبراطوريّة أو الحكم الكونيّ، تظهر في يد المسيح على نحو متواتر، وهو ما يبيّن، أيضا، أنّها شعار السّلطة الرّوحيّة كما هي شعار السّلطة الزّمنيّة.

(88) - يكتب السيّد أوشدوفسكي Mahynga, Mahytma ,Brahytma

(89) - رأينا سابقا أنّ «الميتاترون» هو «ملاك الوجه».

(90) - وفقا للتّقليد الدّينيّ للشّرق الأقصى، فإنّ «الوسط الثّابت» هو النّقطة التي تتجلّى فيها «حركيّة السّماء».

(91) - يمكننا أن نسأل أولئك الذين يستغربون من عبارة مماثلة هل فكّروا يوما في دلالة «التّاج البابويّ» le Triregnum، التّاج الثّلاثيّ الذي يمثّل، إلى جانب المفاتيح، إحدى العلامات الأساسيّة للبابويّة.

(92) - يقال إنّ موسى كان عليه أن يغطّي وجهه بالحجاب حتّى يخاطب النّاس الذين لا يستطيعون تحمّل التّوهّج (خروج،35-29 ، VIXX)؛ ويبيّن هذا القول، من النّاحية الرّمزيّة، الحاجة إلى تكيّف ظاهريّ من أجل العامة. ولنتذكّر في هذا الشّأن الدّلالة المزدوجة لكلمة «كشف»، التي يمكن أن تعني «إزالة الحجاب»، ولكن «التّستّر بالحجاب» أيضا؛ وهكذا، يكشف الكلام الفكرة التي يعبّر عنها ويحجبها في الوقت نفسه.

(93) - أم Om، رمز مقدّس في الهندوسيّة والجينيّة والبوذيّة، يوجد في بداية نصوصهم المقدّسة علامة للتّعجّب (المترجم).

(94) - الغورُوون، جمع «غورو» Goro، يعني هذا المصطلح في السّنسكريتية «المعلّم» و«المرشد» و«السيّد». ويتركّب من المقطع «غو» الذي يعني «الظّلام» والمقطع «رو» ويعني «النّور»(المترجم).

(95) - l'Adi-Manu

(96) - كالبا Kalpa، تعني في "السّنسكريتيّة»، وفي الهندوسيّة والبوذيّة، وحدة زمنيّة كونيّة. وتمثّل «الكالبا» يوما من أيّام براهما، وهو في حدود تسعة مليار سنة.

(97) - Vaivaswata

(98) - Swâyambhuva

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(99) - Swayambhû

(100) - نصادف هذا الاسم، أيضا، على نحو غريب جدا، في الرّمزيّة المسيحيّة القديمة التي نعثر فيها على إحدى العلامات المستخدمة لتمثيل المسيح، والتي اعتبرت لاحقا اختصارا لـ«آف ماريا»Ave Maria، ولكنّها كانت في الأصل المعادلَ لما يوحّد بين الحرفين الطّرَفِيّين للألفبائيّة الإغريقيّة، «ألفا» alpha و«أوميغا» ômêga، للدّلالة على أنّ «الفعل» هو ابتداء كلّ الأمور ونهايتها؛ بل هو، في الواقع، أكثر اكتمالا، لأنّه يدلّ على الابتداء والوسط والنّهاية. تنقسم هذه العلامة ، في الواقع، إلى AUM، أي إلى الحروف اللاتينيّة الموافقة للعناصر الثّلاثة المكوّنة للمقطع الأحاديّ «أم» Om (تكوّنت الحركة o، في السّنسكريتية، من اتّحاد a وu). ويبدو لنا التّقاربُ بين هذه العلامة «أم» و«الصّليب المعقوف»، باعتبارهما رمزين للمسيح، ذا أهمّيّة خاصّة من وجهة النّظر التي نضع أنفسنا فيها. ومن ناحية أخرى، تجدر الإشارة، كذلك، إلى أنّ شكل هذه العلامة نفسه يمثّل ثلاثيّين مرتّبين في اتّجاهين متعاكسين، ممّا يجعله، من بعض النّواحي، مكافئا لـ«ختم سليمان»: إذا اعتبرناه على هذه الشّاكلة   التي يُحدّد فيها الخطّ الأفقيّ الأوسط الدّلالة العامة للرّمز بإبراز مستوى الانعكاس أو «سطح المياه»، فإنّنا نرى أنّ الشّكلين يتضمّنان العدد نفسه من الخطوط ولا يختلفان إجمالا إلا في ترتيب اثنين منهما، إذ يصير الأفقيّ في أحدهما عموديّا في الآخر.

(101) - لمزيد التّوسّع حول هذا المفهوم، «العوالم الثّلاثة»، نحن ملزمون بالإحالة على أعمالنا السّابقة، «روحانيّة دانتي» و«الإنسان ومصيره حسب «الفيدانتا»Vêdânta. وقد ألححنا في الأوّل، خاصّة، على تراسل هذه العوالم، التي تمثّل، بشكل خالص، حالاتِ وجودٍ، تصاحب درجات المُسارّة. وقدّمنا في الثّاني، خاصّة، التّفسير الكامل لنصّ «المندوكيا أبانيشاد» Māṇḍūkya Upaniṣad، الذي تمّ فيه الكشف الكامل عن الرّمزيّة المعنيّة هنا، من وجهة نظر ميتافيزيقيّة بحتة؛ وما نراه حاليا هو تطبيق خاصّ له.

Telegram:@mbooks90

(102) - تحيل وظيفة «البراهماتا»، في نظام المبادئ الكونيّة، إلى «إيشفارا» Îshwara، ووظيفة «ماهاتما» إلى «هيرنياغاربها» Hiraṇyagarbha، ووظيفة «ماهانغا» إلى «فيراج» Virâj؛ ويمكن فهم ألقابهم الخاصّة بيسر من خلال هذه التّراسلات.

(103) - Mândûkya Upanishad, shruti 6 . و«المندوكيا أبانيشاد»

(104) - يقول «سان-إيف» بوضوح إن «ملوك المجوس» الثلاثة أتوا من «أغرطها»، لكن لم يقدّم أيّ تفصيل في هذا الشّأن. ولا شكّ في أنّ الأسماء التي تنسب إليهم في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كبيرة.

(105) - أمريتا الهندوس أو أمبروسيا l'Ambroisie الإغريق (تتطابق الكلمتان اشتقاقيًا)، شراب الخلود أو طعامه. وقد تمّ تمثيله، كذلك، على نحو خاصّ بـ«الضوما» Soma الفيديّة أو بـ«الهاوما» Haoma «المازديّة» (= نسبة إلى أهورا مازدا وهو إله الخير في الزّرادشتيّة). – وتضطلع الأشجار الصّمغيّة أو الزّاتنجيات المطهّرة بدور مهمّ في الرّمزيّة؛ فقد اتّخذت على نحو خاصّ في بعض الأحيان شعارات للمسيح.

(106) - يقال إن «الأديتيا» (مشتقّ من «أديتي» Aditi أو «ما لا يقبل القسمة») كانوا في البداية سبعة قبل أن يصيروا اثني عشر، وإنّ زعيمهم، آنذاك، كان «فارونا» Varuna. والاثنا عشر «أديتيا» هم : «داتري» Dhâtri، وميترا Mitra، و«أريامان» Aryaman، و«رودرا Rudra، و«فارونا» Varouna، و«سوريا» Sûrya، و«باغا» Bhaga، و«فيفاصواط» Vivaswat، و«بوشان» Pûshan، و«صافيتري» Savitri، و«طواشتري» Twashtri، و«فيشنو» Vishnu. إنهم مجموعة من التّجلّيات لجوهر واحد لا يتجزّأ؛ ويقال أيضا إنّ هذه الشّموس الاثنتي عشرة سوف تظهر جميعا على نحو متزامن في نهاية الدّورة، عائدة حينئذ إلى الوحدة الجوهريّة والأصليّة لطبيعتها المشتركة. – ويتطابق، أيضا، لدى الإغريق، الاثنا عشر إلها عظيما لأولمب مع علامات البروج الاثنتي عشرة.

(107) - الرّمز الذي أشرنا إليه بالضّبط هو ما تنسبه الشّعائر الكاثوليكيّة للمسيح عندما يُسند إليه لقب «صول جوستيسيا» Sol Justitiae؛ والكلمة، فعليًا، هي «الشّمس الرّوحيّة»، أي «مركز العالم» الحقيقيّ؛ إضافة إلى ذلك، تحيل هذه العبارة «صول جوستيسيا» مباشرة إلى أوصاف «ملكي-صادق» Melki-Tsedeq. وتجدر الإشارة، أيضا، إلى أنّ الأسد، الحيوان الشّمسيّ، كان، في العصور القديمة والقرون الوسطى، شعارا للعدالة والقوّة في الوقت نفسه؛ وعلامة الأسد في دائرة البروج هي المحلّ الخاصّ بالشّمس. – ويُعتبر الاثنا عشر شعاعا للشّمس تمثيلا للاثني عشر «أديتيا»؛ ومن وجهة نظر أخرى، إذا كانت الشّمس تمثّل المسيح، فإنّ الاثني عشر شعاعا تمثّل الاثني عشر «حَوَاريًا» Apôtres (كلمة apostolos تعني «مُرسَل»، والأشعّة أيضا «مُرسَلة» من «الشّمس»). ويمكننا، فضلا عن ذلك، أن نرى في عدد اثني عشر «حواريًا» علامة، من بين علامات أخرى كثيرة، دالة على التوافق المثاليّ بين المسيحيّة والتّقليد الدّينيّ الأصليّ.

(108) - يتولّد اسم لونجينوس Longinus من اسم الرمح» lance نفسه، وهو في الإغريقية «لوكي» logké (ينطق لونكي lonké)؛ وفضلا عن ذلك، تملك كلمة lancea اللاتينية الجذر نفسه.

(109) - تمثّل هاتان الشّخصيّتان هنا السّلطة الملكيّة والسّلطة الكهنوتيّة على التّوالي؛ وينطبق الأمر نفسه على «آرثر» و«مرلين» Merlin في مؤسّسة «المائدة المستديرة».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(110) - ورد في الهامش: سنقول فقط إنّ رمزيّة الرّمح ترتبط غالبا بـ«محور العالم»؛ ومن هذا المنظور، يملك الدّم الذي يتقاطر من الرّمح الدّلالة نفسها للنّدى الذي ينبع من «شجرة الحياة»؛ ونعلم، فضلا عن ذلك، أنّ كلّ التقاليد متّفقة على تأكيد ارتباط المبدأ الحيويّ بالدّم ارتباطا وثيقا.

(111) - لوسيفر Lucifer، من أسماء الشّيطان في بعض التقاليد المسيحيّة.

(112) - في الهامش: يقال إنّ زمرّدة سقطت من تاج «لوسيفر»، لكن يوجد، هنا، لُبس متعلّق بحقيقة «لوسيفر»، قبل سقوطه، فهو «ملاك التّاج» (أي ملاك «الكيتر» Kether، و«السّيفورة» الأولى Sephirah)، و«هاكاتريل» Hakathriel بالعبريّة، وهو، فضلا عن ذلك، اسم للعدد 666.

(113) - L'Homme et son devenir selon le Vêdânta, p. 150.

(114) - حول هذه «الوضعيّة البدئيّة» أو «الوضعيّة العدنيّة»، انظر: L'Ésotérisme de Dante, éd. 1957, pp. 46-48 et 68-70 ; L'Homme et son devenir selon le Vêdânta, p. 182.

(115) - ورد في الهامش: يقال إنّ «شيث» أقام أربعين عاما في «الفردوس» الأرضيّ؛ ولهذا العدد، أربعين، أيضا، معنى «المصالحة» أو «العودة إلى المبدأ». وغالبا ما تلتقي الفترات المَقِيسة بهذا العدد في التّقليد اليهوديّ-المسيحيّ: فلنتذكّر أيّام الطّوفان الأربعين، والأربعين عاما التي تاه فيها اليهود في الصّحراء، والأربعين يوما التي قضّاها موسى لعبور سيناء، والأربعين يوما التي صامها المسيح (ومن الطّبيعيّ أن يكون «للصّوم الكبير» le Carême الدّلالة نفسها)؛ ولا شكّ في أنّنا يمكن أن نجد أمثلة أخرى أيضا.

(116) - أنوخ Hénoch أو «أنس الله»، ذُكر في الإسلام باسم «إدريس» (المترجم).

(117) - في الهامش: «ومشى «أنوخ» مع الربّ، ولم يعد يظهر (في العالم المرئي أو الخارجيّ)، لأنّ الرّبّ أخذه» (التكوين، 24 ،V). وكان، حينئذ، سينقل إلى «الفردوس» الأرضيّ؛ وهو، أيضاً، رأي بعض اللاهوتيّين من قبيل «توستات» Tostat و«كاجوطان» Cajetan. – على «أرض القدّيسيّين» أو «أرض الأحياء»، انظر إلى ما سوف يقال لاحقا.

(118) - هذا يتّفق مع الرّمزيّة التي استخدمها «دانتي»، إذ أحلّ «الفردوس» الأرضيّ على قمّة جبل «المَطْهَر» Purgatoire، الذي يتماهى عنده مع «الجبل القطبيّ» لكلّ التّقاليد الدّينيّة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(119) - يعلّم التّقليد الهندوسيّ أنّه لم توجد، في الأصل، إلا طائفة واحدة فقط، كانت تسمّى «همسة» Hamsa؛ وهذا يعني أنّ كلّ النّاس يمتلك، وقتئذ، الدّرجة الرّوحيّة المسمّاة بهذا الاسم، طبيعيّا وعفويّا.

(120) - يوجد المعنيان، في بعض الرّوايات المتعلّقة بأسطورة «الكأس المقدّسة»، متّحدين على نحو وثيق، لأنّ الكتاب يصبح، عندئذ، تسجيلا قيّده المسيح أو ملاك موجود على الكأس نفسها. – وستوجد، هنا، روابط سهلة الوصل بـ«كتاب الحياة» وببعض عناصر الرّمزيّة القياميّة.

(121) - يتمتّع اسم «آرثر» بمعنى مميّز جدّا، يتعلّق برمزيّة «القطب»، التي قد نفسّرها في فرصة أخرى.

(122) - أرموريكا Armorique: منطقة غالية قديمة تقع في الشّمال الغربيّ من بلاد الغال (المترجم).

(123) - ورد في الهامش: يبلغ عدد «فرسان المائدة المستديرة»، في بعض الأحيان، خمسين (وهو عدد «اليوبيل» لدى اليهود، ويتعلّق بـ«سلطان الرّوح القدس»)؛ ولكن، حتّى ذلك الحين، ما تزال هناك اثنتا عشرة شخصيّة تضطلع بدور حاسم. ولنتذكّر، في هذا الصّدد، أيضا، أقران «شرلمان» الإثني عشر في حكايات القرون الوسطى الأسطوريّة.

(124) - ورد في الهامش: كان هناك نوعان من «الهاوما»، حسب التّقليد الفارسيّ: الأبيض، لا يمكن جمعه إلا على «الجبل المقدّس»، الذي أطلقوا عليه اسم «البرج»، والأصفر، الذي عوّض الأوّل عندما غادر أسلاف الإيرانيّين موطنهم الأصليّ، ولكنّه فُقِد لاحقا أيضا. ويتعلّق الأمر، هنا، بمراحل متعاقبة من الظّلمة الرّوحيّة التي حدثت عبر مختلف عصور الدّورة البشريّة تدريجيّا.

(125) - لديونوزوس أو باخوس أسماء متعدّدة، تتوافق مع عدّة جوانب مختلفة؛ وفي سياق أحد هذه الجوانب على الأقلّ، جُلِب من الهند. وتستند الرّواية التي وُلِد، على أساسها، من فخذ «زيوس»، إلى تماثل لفظيّ من أغرب ما يكون: لقد أُستُبدِلت الكلمة الإغريقية «ميروس»، «الفخذ» باسم «ميرو»، «الجبل القطبيّ»، الذي يماثله صوتيّا تقريبا.

(126) - عدد كلّ كلمة من هاتين الكلمتين سبعون.

(127) - تعتبر تضحية «ملكي-صادق»، عادة، توطئة للأفخريستيا؛ ويتحدّد الكهنوت المسيحيّ من حيث المبدأ بكهنوت ملكي-صادق نفسه، بناء على ما وُجّه إلى المسيح في هذه العبارة من «المزامير: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة «ملكي-صادق» Tu es

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

sacerdos in æternum secundum ordinem Melchissedec » (Ps., CX, 4).

(128) - Épître aux Hébreux, V, 11.

(129) - ورد في الهامش: مازال اسم «أبرام» لم يتغيّر إلى «إبراهيم» بعد؛ بينما تغيّر اسم زوجته من «ساراي» Saraï إلى «سارّة» Sarah، وظلّ مجموع أعداد هذين الاسمين كما هو.

(130) - Genèse, XIV, 19-20.

(131) - ورد في الهامش: وتجدر الإشارة، أيضا، إلى أن الجذر نفسه ما يزال ماثلا في كلمتي «إسلام» و«مسلم»؛ فـ«الاستسلام للمشيئة الإلهيّة» (وهو المعنى المجرّد لكلمة «إسلام») هو الشّرط الضّروريّ لـ«سَلم»؛ ولنقارن الفكرة المعبّر عنها هنا بفكرة «الدارما» الهندوسية.

(132) - Épître aux Hébreux, VII, 1-3

(133) - Ibid., VII, 7

(134) - Genèse, XIV, 22

(135) - عدد كل اسم من هذين الاسمين 197.

(136) - هذا هو التّفسير الشّامل للهويّة التي أشرنا إليها في الأعلى؛ ولكن ينبغي أن نلاحظ أنّ الانضمام إلى التّقليد قد لا يكون واعيا دائما؛ وفي هذه الحالة، لا يكون أقلّ واقعيّة بوصفه وسيلة انتقالٍ «مؤثّرات روحيّة»، غير أنّه لا يستلزم الانضمام الفعليّ إلى رتبة معيّنة في النّظام المُسارّيّ.

(137) - يمكننا القول، أيضا، بناء على ما سبق، إنّ هذه العلويّة تتوافق مع علوية «العهد الجديد على العهد القديم (Épître aux Hébreux, VII, 22). وسيكون من المناسب تفسير سبب ولادة المسيح من قبيلة «يهوذا» المَلكيّة، وليس من قبيلة «لاوي» الكهنوتيّة (ibid., VII, 11-17)؛ لكنّ هذه الاعتبارات ستقودنا بعيدا جدّا. – ينحدر تنظيم الاثنتي عشرة قبيلة من الاثني عشر ابنا ليعقوب، ويرتبط طبيعيّا بنظام المراكز الرّوحيّة الاثني عشريّ.

(138) - Épître aux Hébreux, VII, 9

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(139) - Ibid., VII, 8

(140) - وُصف «ملكي-صادق» في كتاب «بيستيس صوفيا» Pistis Sophia للغنوصيين الإسكندريين بـ«المتلقي العظيم للنور الخالد»؛ وهو ما يتفق، أيضا، مع وظيفة «مانو»، الذي يتلقى، في الواقع، النور الجلي، من شعاع منبثق من «الأصل»، ليعكسه في عالمه المحيط؛ ولهذا السبب، أيضا، يقال إنّ «مانو» هو «ابن الشمس».

(141) - توجد، أيضا، تقاليد أخرى تتعلّق بـ«ملكي-صادق»؛ وبحسب أحدها، كان الملاك «ميكائيل» قد ألزمه بالبقاء في الفردوس الأرضي، وهو في سنّ 52 عاما. ويضطلع هذا العدد الرّمزيّ 52، من جهة أخرى، بوظيفة مهمّة في التّقليد الهندوسيّ، إذ يُعتبر العدد الإجماليّ للمعاني المضمّنة في «الفيدا»؛ ويقال، أيضا، إنّ هذه المعاني توافق الطّرائق المختلفة للتلفّظ بالمقطع الأحاديّ «أم».

(142) - يُطلق هذا الاسم، أو بالأحرى هذا العنوان لـ«دارما-راجا»، خاصّة في «المهابهارات» Mahâbhârata، على «اليوديشتهير» Yudhishthira؛ لكنّه في البداية، كان يطلق على «ياما» «قاضي الأموات»، وقد أشير إلى علاقته الوثيقة بـ«مانو» سابقا.

(143) - ورد في الهامش: يظهر الملاك «ميكائيل»، في الأيقونات المسيحية، بهاتين الصّفتين في رسومات «يوم القيامة».

(144) - في الهامش: وكذلك، تمثّل «ما» Mâ أو «ماعت» Maât، لدى المصريّين القدامى، «العدالة» و«الحقيقة» في الوقت نفسه؛ ونراها مجسّدة في إحدى كفّتي ميزان «الدّينونة»، بينما في الأخرى وعاء، وهو الشّكل الهيروغليفيّ للقلب. – وتعني كلمة «حُق» hoq في العبريّة «مرسوما قانونيا»(Psaumes, II, 7).

(145) - القيمة العدديّة لكلمة «حقّ» هي 108، وهو أحد الأعداد الدّوريّة الأساسيّة. وتتكوّن المسبحة «الشّيفيّة» shivaïte، في الهند، من 108 خرزات؛ وترمز الدلالة الأصلية للمسبحة إلى «سلسلة العوالم»، أي إلى الترابط السببي لدورات الوجود أو حالاته.

(146) - يمكن تلخيص هذه الدّلالة في المعادلة التّالية: «القوّة في خدمة القانون» إذا لم يبالغ المعاصرون في الإساءة إليها لحملهم لها على معنى خارجيّ تماما.

(147) - انظر: L'Ésotérisme de Dante, éd. 1957, p. 58.

(148) - قد تتعلّق كلمة «خان» khan، اللّقب الذي أسندته شعوب آسيا الوسطى لزعمائها، بالجذر نفسه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(149) - «صادق» هو اسم كوكب المشتري أيضا، وملاكه يُدعى «صادقيال-ملاك» Tsadqiel-Melek؛ والتشابه مع اسم «ملكي-صادق»(الذي أضيف إليه «إيل» El، الاسم المقدّس الذي يشكّل النهاية المشتركة لكلّ الأسماء الملائكيّة) واضح جدًا لا يتطلّب التأكيد عليه. ويحمل الكوكب نفسه، في الهند، اسم «بريهاسبتي» Brihaspati، أي «الكاهن السّماويّ» تحديدا. – و«سبّات» Sabbath مرادف آخر لـ«ملكوت»، ومعناه «الرّاحة» الذي يخيل بشكل واضح على فكرة «السّلام»، خاصّة إنّ هذه الفكرة تعبّر، كما رأينا أعلاه، على الجانب الخارجي للشّيكيناه نفسها، الذي تتواصل من خلاله بـ«العالم الدّيماسيّ».

(150) - P. Vulliaud, La Kabbale juive, t. I, p. 509

(151) - ورد في الهامش: يضطلع جبل «جرزيم» لدى «السّامريّين» بالدّور نفسه ويحمل الأسماء نفسها: إنّه «الجبل المبارك»، و«التّلّة الخالدة» و«جبل الميراث» و«بيت الله» و«خيمة اجتماع الملائكة» ومقرّ إقامة «الشّيكيناه»؛ كما يسمّى، أيضا، بـ«الجبل البدائيّ» (هار قديم Har Qadim)، الذي كانت فيه «عدن»، التي لم تغمرها مياه الطّوفان.

(152) - S. Vulliaud, La Kabbale juive, t. I, p. 509

(153) - L'Ésotérisme de Dante, éd. 1957, p. 64

(154) - La Kabbale juive, t. II, p. 116

(155) -ورد في الهامش: تتكوّن «كالبا» واحدة من أربعة عشر «مانفنتارا»؛ ويسمّى «فايفاصواط»، عصر «مانو» الحاليّ، وهو العصر السّابع من هذه الـ«كالبا»، «شري-شفيطا-فاراها-كالبا» Shrî-Shwêta-Varâha-Kalpa أو «عصر الخنزير الأبيض». وتوجد ملاحظة أخرى غريبة تتمثّل في أنّ اليهود يسمّون روما باسم «إدوم»؛ ويتحدّث التّقليد، أيضا، عن ملوك روما السّبعة، وثاني هؤلاء الملوك، «نوما» Numa، الذي يعتبر مُشرّع المدينة، ويحمل اسما بمثابة القلب المقطعيّ المتطابق مع اسم «مانو»، الذي يمكن، في الوقت نفسه، أن يُقارن بالكلمة الإغريقيّة «نوموس» Nomos، «قانون». إذن، يتوفّر سبب للتّفكير في أنّ ملوك روما السّبعة هؤلاء لم يكونوا، من وجهة نظر معيّنة، إلا تمثيلا خاصّا لـ«مانويّين» السّبعة بالنّسبة إلى حضارة محدّدة، كما يُمثّل حكماء الإغريق السّبعة، من ناحية أخرى، في ظروف متشابهة، «الرّيشيّين» Rishis السّبعة، الذين تتجمّع فيهم حكمة الدّورة السّابقة لدورتنا على نحو مباشر.

(156) - في الهامش: يمثّل الكهف أو المغارة تجويف القلب، الذي يعتبر مركز الكائن،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وباطن «بيضة العالم» أيضا.

(157) - في الهامش: وسنقتبس، على سبيل المثال، المقطع الذي يتعلّق بمسألة «الهبوط إلى الجحيم»؛ ويمكن لمن تسمح له الفرصة أن يقارنه بما قلنا حول الموضوع نفسه في كتاب «روحانيّة دانتي».

(158) - ورد في الهامش: المعلومات التي استخدمناها هنا منتزعة جزئيًا من الموسوعة اليهوديّة (الجزء السّابع، ص 219.)

(159) - Genèse, XXVIII, 19

(160) - ورد في الهامش: ويتعلّق الأمر أيضا، في تقاليد بعض شعوب أمريكا الشّماليّة، بشجرة يمكن، من خلالها، لضرب من البشر الذي يحيا في باطن الأرض على نحو بدائيّ أن يبلغ سطحها، بينما يمكن للآخرين من الجنس نفسه أن يمكثوا في عالم ما تحت الأرض. ومن المحتمل أن يكون «بولوير لايتون» Bulwer-Lyttonقد استلهم هذه التّقاليد في روايته «العرق القادم» (The Coming Race). وتحمل، في طبعة جديدة، عنوان: «العرق الذي سيُبيدنا».

(161) - من المدهش حقّا أن نجد المعنى نفسه في العربية إذ تحيل هذه الكلمة على شجرة «اللوز»، بالإضافة إلى أن «الملاز» يعني «الملجأ». (المترجم).

(162) - تستعمل في العربية الحديثة كلمة «سيلوم» بمعنى الجوف(المترجم).

(163) - فارون Varron (27-116 ق م)، عالم وكاتب روماني. (المترجم)

(164) - يُشتقّ من جذر «كال» Kal نفسه مفردات لاتينيّة أخرى، من قبيل «كاليغو» Caligo، وربّما المركّب «أوكيلتوس» Occultus. وقد يكون الشّكل «كايلار» Caelare، من ناحية أخرى، مستمدّا، في الأصل، من جذر مختلف، هو «كايد» Caed، أي «قطع» و«قسّم» (ومنه «كايدار» Caedere أيضا)، وبالتّالي «فصل» و«أخفى»؛ ولكنّ الأفكار المعبّر عنها بهذه الجذور هي، في كلّ الأحوال، وكما نرى، متقاربة جدّا، ممّا قد يؤدّي بسهولة إلى مطابقة «كايلار» Caelare بـ«كولار» Celare، حتّى إنْ كان هذا الشّكلان مستقلّين اشتقاقيًا.

(165) - تملك عبارة «سقف العالم»، المشابهة لـ«لأرض السّماويّة» أو «أرض الأحياء» في تقاليد آسيا الوسطى علاقة وثيقة بـ«السّماء الغربيّة» حيث يسود «أفلوكيتشفار» Avalokitêshwara. وينبغي أن نتذكّر أيضا، في ما يتعلّق بمعنى «غطّى»، العبارة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الماسونيّة «كان تحت الغطاء»: إذ يمثّل السّقف المرصّع بالنّجوم، في المقصورة، القبة السّماويّة.

(166) - إنّه حجاب «إيزيس» Isis أو «نيث» Neith الفرعونيّين، و«الحجاب الأزرق» للأمّ الكونيّة في التّقليد الشّرقيّ الأقصى (Tao-te-king, ch. VI)؛ وقد نظفر، إذا طبّقنا هذا المعنى على السّماء المرئيّة، بإشارة إلى دور الرّمزيّة الفلكيّة في إخفاء الحقائق العلويّة أو «كشفها».

(167) - يضطلع الياقوت بدور مهمّ في الرّمزيّة الإنجيليّة؛ تتجلّى بتواتر، خاصّة في رؤى الأنبياء.

(168) - يسمّى الشّمال في السّنسكريتيّة «أوطّارا» Uttara، أي المنطقة الأعلى؛ ويسمّى «الجنوب» «داكشينا» Dakshina، منطقة اليمين، أي ما يوجد على يمينه عندما نلتفت نحو «الشّرق». و«أوطّارايانا» Uttarâyana هو مسار طلوع الشّمس إلى الشّمال، بدءا من الانقلاب الشّتويّ وانتهاءً بالانقلاب الصّيفيّ؛ و«داكشينايانا» dakshinâyana هو مسار هبوط الشّمس نحو الجنوب، بدءا من الانقلاب الصّيفيّ وانتهاء بالانقلاب الشّتويّ.

(169) - ورد في الهامش: تمثّل مناطق الفضاء السّبع، في الرّمزية الهندوسيّة (التي احتفظت بها البوذيّة نفسها في أسطورة «الخطوات السّبع»)، القمم الأساسيّة الأربع، بالإضافة إلى «سمت الرّأس» Zénith و«النّظير» Nadir، وأخيرا المركز نفسه؛ ويمكن للمرء أن يلاحظ أنّ تمثيلها يشكّل تقاطعا ثلاثيّ الأبعاد (ستّة اتّجاهات متقابلة اثنين فاثنين انطلاقا من المركز). وكذلك، يقع «القصر المقدّس» أو «القصر الباطنيّ، في الرّمزيّة القباليّة، في مركز الاتّجاهات السّتّة، التي تشكّل معه «السّباعيّة»؛ و«يقول «إكليمندس الإسكندريّ» Clément d'Alexandrie إنّ الامتدادات اللّامحدودة التي تتّجه، واحدا إلى أعلى، والآخر إلى أسفل، وهذا إلى اليمين، وذلك إلى اليسار، وواحدا إلى الأمام، والآخر إلى الوراء، تنطلق من الله، «قلب الأكوان»، فهو يختتم العالم، مصوّبا نظرته إلى هذه الامتدادات السّبعة، كأنّه يصوّبها إلى عدد متساو دائما؛ إنّه المبتدأ والمنتهى (الألفا l'alpha والأوميجا l'ômega)، وتُختتم فيه مراحل الزّمن السّتّ، وتتحصّل منه على توسّعها اللّامحدود؛ ذلك هو سرّ العدد 7» (cité par P. Vulliaud, La Kabbale juive, t. I, pp. 215-216). ويتعلّق كلّ هذا بتطوّر النّقطة البدئيّة في المكان والزّمان؛ وتمثّل مراحل الزّمن السّتّ، الموافقة، بالتّوالي، لاتّجاهات الفضاء السّتّة، ستّ فترات دوريّة، وتقسيمات لفترة أخرى أعمّ، تمثّل، أحيانا، على نحو رمزيّ، باعتبارها ستّ ألفيّات؛ وتقارن أيضا بـ«أيّام» التّكوين الأولى، أمّا اليوم السّابع أو «السّبت»، فهو مرحلة العودة إلى المبدأ، أي إلى المركز. وهكذا يكون لدينا سبع فترات يمكن أن يتعلّق بها الظّهور المتتابع لـ«دويب» السّبع، فإذا كانت كلّ فترة «مانفنتار» Manvantara واحدة، فإنّ «الكاليا»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Kalpa تتكوّن من سلسلتين سباعيّتين كاملتين؛ فمن الواضح، أيضا، أنّ الرّمزيّة نفسها قابلة للتّطبيق على مستويات مختلفة، بناء على تصوّرنا للفترات الدّوريّة الممتدة نسبيا.

(170) - انظر إلى ما قيل أعلاه حول رمزيّة قوس قزح. – في الواقع، لا يوجد إلا ستّة ألوان، تتكامل اثنين فاثنين، وتتّفق مع الاتّجاهات السّتّة المتقابلة اثنين فاثنين؛ وليس اللّون السّابع غير اللّون الأبيض نفسه، كما تتحدّد المنطقة السّابعة بالمركز.

(171) - ولذلك، لم يكن لباس البابا الأبيض، في النّظام الكاثوليكيّ، بلا سبب.

(172) - في الهامش: لذلك أُتّخذت شجرة اللّوز رمزا للعذراء.

(173) - في الهامش: من الغريب أن نشير إلى أنّ هذا التّقليد اليهوديّ ربّما ألهم بعض نظريات «ليبنتز» Leibnitz حول «الحيوان» (أي الكائن الحيّ) الذي يعيش، دائما، مع جسد، لكنّه «يتقلّص إلى حجم صغير» بعد الموت.

(174) - *Ire Épître aux Corinthiens*, XV, 42. – يوجد، في هذه الكلمات، تطبيق صارم لقانون القياس: «ما يوجد في الأعلى يشبه ما يوجد في الأسفل، لكن عكس الاتجاه.»

(175) - في الهامش: تعني كلمة «أكشارا» akshara في السّنسكريتيّة «غير القابل للذّوبان»، وبالتّالي «غير القابل للفساد» أو «غير القابل للتّلف»؛ وتعني مقطع اللّغة وعنصرها الأوّل وبذرتها، وتنطبق، بشكل مميّز، على المقطع الأحاديّ «أم» Om، الذي يقال إنّه يتضمّن جوهر «الفيدا» الثّلاثيّ في ذاته.

(176) - في الهامش: نجد مكافئها في شكل آخر، في التّقاليد الدّينيّة المختلفة، خاصّة في «الطّاويّة»، مع تطويرات مهمّة جدّا. وما تمثّله في النّظام «الكونيّ الأصغر»، من هذه الناحية، تمثّله «بيضة العالم» في النّظام «الكونيّ الأكبر»، لأنّها تنطوي على احتمالات «الدورة المستقبليّة» (la vita venturi sæculi du Credo catholique).

(177) -في الهامش: يمكننا أن نشير هنا إلى الرّمزيّة الإغريقيّة لـ«نفس» Psyché، التي تستند، في جانب كبير منها، إلى هذه المشابهة (انظر: Psyché, F. Pron).

(178) - في الهامش: تعني كلمة «كوندالي» kundalî (في المؤنّث «كونداليني) مُلتفًا على شكل حلقة أو لولب؛ ويرمز هذا الالتفاف إلى الوضعية الجنينيّة و«غير النّامية».

(179) - في الهامش: يتحدّد مكانها، من هذه النّاحية، إلى حدّ مّا، بتجويف القلب؛ وقد ألمحنا سابقا إلى وجود علاقة بين «الشّاكتى» الهندوسيّة و«الشّيكيناه» العبريّة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(180) - إنّه «البراهما-راندرا» Brahma-randhra أو «فتحة براهما»، نقطة التّماس بين الـ«سوشومنا» la Sushumná أو «الشّريان التّاجيّ» و«الشّعاع الشّمسيّ»؛ وقد كشفنا عن هذه الرّمزيّة في الكتاب «الانسان ومستقبله حسب «الفيدانتا Vêdânta».

(181) - لكلّ هذا صلة وثيقة جدًا بالدّلالة الحقيقيّة لهذه الجملة الغامضة المشهورة: « Visita inferiora terræ, rectificando invenies occultum lapidem, veram medicinam » التي تُنتج، بضرب من التّتويج*، كلمة «فيتريولوم» Vitriolum. و«حجر الفلاسفة»، من جانب آخر، هو في الوقت نفسه، «الطّبّ الحقيقيّ»، أي «إكسير إطالة الحياة»، وهو ليس شيئا آخر غير «شراب الخلود». – نكتب «داخليّ» بدل «ديماسيّ» أحيانا، غير أنّ المعنى العام لا يتغيّر، وهناك، يظهر التّلميح نفسه إلى «العالم الدّيماسيّ» دائما.

* التتويج acrostiche، ومنه المتوّجة، وهي القصيدة التي يحمل عمودُ حروف أبياتها الأولى معنى مَا (المترجم).

(182) - في الهامش: بهذه الكلمات، انتهت نبوءة تنبّأ بها «ملك العالم» سنة 1890، عندما ظهر في دير «نارابانشي» Narabanchi.

(183) - في الهامش: يتألّف «المانفنتار» أو عصر «مانو»، ويسمّى، أيضا، «ماها-يوغا» Mahâ-Yuga، من أربع فترات «يوغا» أو فترات ثانويّة: «كريطا-يوغا» Krita-Yuga (أو «صاتيا-يوغا» Satya-Yuga)، و«تريتا-يوغا» Trêtâ-Yuga، و«دوابار-يوغا» Dwâpara-Yuga، و«كالي-يوغا» Kali-Yuga، التي تتحدّد، تواليا، بالعصور الإغريقو-لاتينيّة: «العصر الذّهبيّ» و«العصر الفضّيّ» و«العصر البرونزيّ» و«العصر الحديديّ». ويوجد ضرب من التّجسّد المتدرّج في تسلسل هذه الفترات نتيجة الابتعاد عن «المبدأ» الذي يصاحب، بالضّرورة، تطوّر التّجلّي الدّوريّ، في عالم الجسد، انطلاقا من «الوضعيّة البدئيّة».

(184) - يتمّ تمثيل بداية هذا العصر ببرج بابل و«بلبلة الألسن»، خاصّة في الرّمزيّة الإنجيليّة. ويمكن أن نتصوّر، بما يكفي من المنطق، أنّ الانهيار والطّوفان يتوافقان مع نهاية العصرين الأوّلين؛ غير أنّ نقطة انطلاق التّقليد اليهوديّ لا تتطابق، في الواقع، مع بداية «المانفنتار». وينبغي ألّا ننسى أنّ القوانين الدّوريّة قابلة للتّطبيق بدرجات مختلفة، على فترات لا تملك المدى نفسه، وتتداخل أحيانا، ومن ثمّة تطرأ تعقيدات قد تبدو، للوهلة الأولى، غير قابلة للحلّ، ولا يمكن حسمها إلّا بمراعاة نظام التّبعيّة الهرميّ للمراكز التّقليديّة المُلائمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(185) - لا يبدو أبدا أننا لم نلاحظ، كما ينبغي، الاستحالة الكاملة تقريبا، التي يجد فيها المؤرّخون أنفسهم، لإنشاء تسلسل زمنيّ معيّن لكلّ ما يسبق القرن السادس قبل الميلاد.

(186) - يسمح ما ذكرناه توًا بتفسير هذه العبارات من الإنجيل في معنى محدّد جدًا: «اطلبوا تجدوا؛ اسألوا تتلقّوا؛ اطرقوا يُفتَح لكم.» – ومن الطّبيعيّ أن يتوجّب التّعليق هنا على الإشارات التي قدّمناها سابقا حول «صحّة النّيّة» و«حسن النّيّة»؛ ويمكننا أن نستكمل بها تفسير هذه الصّيغة بيسر: Pax in terra hominibus bonæ voluntatis.

(187) - استعيرت هذه العبارة من العقيدة الطّاويّة؛ وتُحمل كلمة «Intention»، هنا، على معنى كلمة «نيّة» العربيّة المطابق جدًا، والذي تعوّدنا أن نترجمه بها، ويتوافق هذا المعنى مع الأصل اللّاتينيّ أيضا (intendere يميل إلى).

(188) - ورد في الهامش: في الإسلام، يشبه هذا الاتّجاه (القبلة) تجسيدَ «النّيّة»، إذا جاز التّعبير عنه على هذا النّحو. واتّجاه الكنائس المسيحيّة حالة أخرى خاصّة تتعلّق، أساسا، بالفكرة نفسها.

(189) - في الهامش: من المؤكّد أنّ الأمر يتعلّق بمظهر خارجيّ نسبيّ، بما إنّ هذه المراكز الثّانويّة نفسها مغلقة بصرامة إلى حدّ مّا منذ بداية «الكالي-يوغا».

(190) - في الهامش: إنّها تجلّي أورشليم السّماويّة، وهي تمثّل، بالنّسبة إلى الدّورة التي انتهت، ما يمثّله الفردوس الأرضيّ بالنّسبة للدّورة التي تبدأ، كما فسّرنا ذلك في «روحانيّة دانتي».

(191) - في الهامش: توجد، أيضا، من وجهة نظر أكثر شمولا، درجات في التّباعد عن المركز البدئيّ بالنّسبة إلى البشريّة، وعلى أساس هذه الدّرجات، يتطابق التّمايز بين عصور «اليوغا» المختلفة.

(192) - نحن ملزمون، في هذه النقطة أيضا، بالإحالة على دراستنا حول «روحانيّة دانتي»، التي قدّمنا فيها كلّ الإشارات التي تسمح بتبرير هذا التّأكيد.

(193) - سويدنبورغ Emanuel Swedenborg (1668-1772)، عالم وفيلسوف ومتصوّف سويديّ، عرف خاصّة بمعارجه. (المترجم)

(194) - آن كاثرين إميريش Anne Catherine Emmerich (1774-1824)،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(195) - بالافتسكي Helena Blavatsky (1831-1891)، متصوّفة روسيّة. (م)

(196) - ورد في الهامش: من يدرك الاعتبارات التي نقدّمها هنا سيرى، من خلالها بالذات، لماذا يستحيل علينا أن نحمل التّنظيمات المُساريّة الزّائفة التي ظهرت في الغرب على محمل الجدّ: لا أحد منها، يخضع إلى اختبار صارم نسبيًا، قادر على توفير أضعف دليل على «نزاهتها».

(197) - في الهامش: سنذكّر هنا بالإشارة التي قدّمناها في مكان آخر عن العلاقة الموجودة بين «أنيي» Agni الفيديّ ورمز «الحَمَل» l'Agneau (L'Ésotérisme de Dante, éd. 1957, pp. 69-70 ; L'Homme et son devenir selon le Vêdânta, p. 43)؛ إذ يمثّل الكبش، في الهند، مركوب «أنيي». ومن ناحية أخرى، يشير السيّد «أوسندوفسكي» في عدّة مناسبات إلى أنّ عبادة «راما» Râma ما زالت قائمة في منغوليا؛ إذن، يوجد أمر آخر، هنا، غير البوذيّة، خلافا لما يظنّه أغلب المستشرقين. ومن جهة أخرى، أُخبِرنا عن مذكّرات «دورة رام» التي ما تزال حتّى الآن قائمة في كمبريدج، وهي معلومات بدت لنا مذهلة جدًا إلى درجة أنّنا فضّلنا عدم إيرادها؛ ولذلك نشير إلى هذا الأمر على سبيل التّذكّر فحسب.

(198) - فلنشر، أيضا، إلى تمثيلات «الحَمَل» على الكتاب المختوم بسبعة أختام المذكور في «سفر الرّؤيا»؛ كما تمتلك «اللّاميّة التّيبتيّة» سبعة أختام غامضة أيضا، ونحن لا نتصوّر أنّ هذا التّقارب مجرّد صدفة.

(199) - يقال عن جبل «قاف» إنّه لا يمكن الوصول إليه «بالبحر ولا بالبرّ» (انظر إلى ما قيل سابقا عن «مونسلفات»)، ومن أسمائه الأخرى «جبل الأولياء»، الذي يمكن مقارنته بـ«جبل الأنبياء» لـ«آن كاترين إميريش».

(200) - الأفستيّة Avestique: اللغة الإيرانيّة القديمة. (المترجم)

(201) - يمثّل هذا التّكامل تكامل المثلّثين المتقابلين اللّذين يشكّلان «خاتم سليمان»؛ ويمكن أن يُقارَن، أيضا، بتكامل الرّمح والكأس، الذي تحدّثنا عنه سابقا، وبرموز أخرى كثيرة مكافئة لهما.

(202) - جمع «روشر» W.-H. Roscher، في عمل عنوانه «أمفالوس»، نشر سنة 1913، كمّيّة هامّة من الوثائق تثبت هذه الحقيقة بالنّسبة إلى شعوب متنوّعة جدًا؛ غير أنّه أخطأ في الادّعاء بأنّ هذا الرّمز يرتبط بالفكرة التي تحملها هذه الشّعوب عن شكل الأرض، لأنّه يتصوّر أنّ الأمر يتعلّق بالاعتقاد في وجود مركز على سطح الأرض، بالمعنى الحرفيّ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأكثر فجاجة؛ ويدلّ هذا الرّأي على جهل تامّ بمعنى الرّمز العميق. – وسنستخدم في ما يلي عددا معيّنا من المعلومات الواردة في دراسة «لوث» M. J. Loth: «الأمفالوس» لدى «السّالتيين» Les Seltes، التي نشرت في la Revue des Études anciennes (juillet-septembre 1915).

(203) - تعني كلمة nabe في الألمانيّة «محور»، وnabel «سرّة»؛ وكذلك nave وnavel في الإنجليزيّة، وتعني هذه الكلمة الأخيرة «المركز» أو «الوسط» بشكل عام. – وتُشتقّ كلمتا omphalos الإغريقيّة وumbilicus اللّاتينيّة، أيضا، بتغير بسيط للجذر نفسه.

(204) - يسمّى «أنيي» Agni في الـ«ريج-فيدا» Rig-Vêda «سرّة الأرض»، وهو ما يتعلّق بالفكرة نفسها أيضا؛ وما يزال «الصّليب المعقوف» رمزا لـ«أنيي» كما قلنا سابقا.

(205) - كانت في اليونان مراكز روحيّة أخرى، لكنّها مخصّصة لمُسارّة الأسرار، من قبيل أسرار «إليوسيس»Éleusis و«صاموتراس» Samothrace، بينما كان لدلفي دور اجتماعيّ يهتمّ بكلّ الجماعة الهيلينيّة على نحو مباشر.

(206) - فضّلنا ترجمة bétyle بـ«بَتيل» بدل «نُصُب» أو حجر مقدّس، مثلا، للاحتفاظ بالجانب الصّوتيّ للكلمة، فضلا عن الإشارات الكثيرة التي تشترك فيها الكلمتان، لا سيما الإشارات التي أوردها ياقوت الحمويّ في معجم بلدانه، الذي أحال فيه على جبال في الجزيرة العربيّة تحمل اسم «بتيل»، والصلّة بين الوجهين لا تخفى، وسيوسّعها الكاتب بالتّحليل تباعا. انظر: معجم البلدان، ج1، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، 2000، صص 336-337.

(207) - Genèse, XXVIII, 16-19.

(208) -في الهامش: لاحظ، فضلا عن ذلك، التشابه الصوتي بين «بيت لحم» Beith-Lehem و«بيت إلوهيم» Beith-Elohim، الذي يظهر، أيضا، في نصّ «سفر التّكوين».

(209) - في الهامش: «قال الغاوي للمسيح مُقتربا: إذا كنت ابن الله، فأمُر هذه الأحجار تصير خبزا» (St Matthieu, IV, 3 ; cf. St Luc, IV, 3). تملك هذه الكلمات معنى غامضا، في علاقتها بما نشير إليه هنا: كان على المسيح أن ينجز تحويلا مشابها، ولكن تحويلا روحيّا، لا ماديّا كما طلب منه الغاوي؛ إذ يماثل النّظام الرّوحيّ النّظام الماديّ، ولكن في اتّجاه معاكس، وميزة الشّيطان هي أن يعيد كلّ الأشياء إلى الوراء. إنّ المسيح نفسه، باعتباره تجلّيا للكلمة، هو «الخبز الحيّ النّازل من السّماء، ومن هنا كانت الإجابة: «لا يحيى الإنسان من الخبز فقط، بل من كلّ كلمة تخرج من فم الرّبّ»؛ ذلك هو الخبز الذي يجب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يُعوَّض، في «العهد الجديد»، بالحجر باعتباره «بيت الله»؛ وسوف نضيف، مرّة أخرى، أنّه يمثّل سبب توقّف الوحي. وقد يكون من المثير للانتباه أن نشير، في ما يتعلّق بهذا «الخبز» الذي يُعرف بـ«لحم» الكلمة المتجلّية، إلى أنّ كلمة «لحم» العربيّة، المطابقة لكلمة «لحم» Lehem العبريّة، تعني، بدقة، «لحم» بدل «خبز».

(210) - Genèse, XXVIII, 22.

(211) - ورد في الهامش: تحيط بالحجر أفعى، أحيانا، خاصّة في بعض أحجار «الأمفالوس» الإغريقيّة؛ كما نرى هذه الأفعى ملتفّة بقاعدة أحجار الحدود الكلدانيّة أو بقفتها، والتي ينبغي أن تُعَدّ «أنصابا» حقيقيّة. ويرتبط رمز الحجر، مثل رمز الشّجرة (وهي وجه آخر لـ«محور العالم») عموما، ارتباطا وثيقا برمز الأفعى؛ وكذلك برمز البيضة، خاصّة بين «السّلتيّين» و«الفراعنة». - ومن أمثلة تجسيم «الأمفالوس» المميّزة «بتيل» «كرماريا» Kermaria، بقفته المدوّرة، وعلامة الصليب المعقوف التي تحملها إحدى واجهاته. وقد قدّم «لوث» في الدّراسة التي أشرنا إليها سابقا صورا فوتوغرافيّة لهذا «البتيل»، فضلا عن بعض الأحجار الأخرى من الجنس نفسه.

(212) - يتمتّع العدد 5 في التّقليد الصّينيّ بأهمّية رمزيّة خاصّة جدّا.

(213) - Brehon Laws, citées par J. Loth.

(214) - كانت عاصمة مملكة «ميد» «طارا» Tara؛ وتعني كلمة «طارا» Târâ، في السّنسكريتيّة «نجم»، وبالأخصّ «النّجم القطبيّ».

(215) - كان اسم «سان باتريس»، الذي لا يعرف في العادة إلا بصيغته اللاّتينيّة، في الأصل «كورتراج» Cortraige، ويعني «خادم الأربعة».

(216) - لا يشارك «الإنسان الحقيقيّ»، الذي وُضع في الوسط في حركة الأشياء أبدا، بيد أنّه، في الواقع، يوجّه هذه الحركة من خلال حضوره فقط، لأن «فعاليّة السّماء» تنعكس فيه.

(217) - Tchoang-tseu, ch. Ier ; traduction du P. L. Wieger, p. 213. – يقال إنّ الإمبراطور «ياو» حكم في سنة 2356 قبل الميلاد.

(218) - يمكننا أيضا أن نجري هنا مقارنة مع الأوتاد الأربعة في الرّوحانيّة الإسلاميّة.

(219) - يتمّ تمثيل هذا العنصر البدئيّ، في الصّور الحاسمة، من قبيل الصليب المعقوف، بالنّقطة الوسطى، وهي القطب؛ وتتطابق العناصر الأربعة الأخرى، فضلا عن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القمم الرئيسيّة الأربع، مع فروع الصّليب الأربعة، التي ترمز، أيضا، إلى الرّباعيّة في كلّ استخداماتها.

(220) - كانت العلامة التّمثيليّة لـ«أزتلان» أو لـ«طولا» هي «البَلَشون» الأبيض؛ ويضطلع «البلَشون» و«اللّقلق» في الغرب بالدّور نفسه الذي يضطلع به «إيريس» Iris في الشّرق، وتظهر هذه الطّيور الثلاثة في شعارات المسيح؛ وقد كان «إيريس» رمزا لـ«توت» لدى الفراعنة، أي للحكمة.

(221) - تنشأ صعوبة كبرى، لضبط نقطة التقاء التّقليد الأطلنطيّ والتّقليد القطبيّ على نحو دقيق، من استبدال بعض الأسماء الذي قد يثير عددا من الارتباكات.

(222) - ربّما أطلق على «الدّبّ الأكبر» اسم «ميزان اليشب» أيضا، واليشب رمز الكمال. وشبّه «الدّبّ الأكبر» و«الدّبّ الأصغر» لدى شعوب أخرى، بكفّتي ميزان. – لم يكن هذا الميزان الرّمزيّ مقطوع الصّلة بالميزان المذكور في «سيفرا دي-تزينيوتا» Siphra di-Tseniutha («كتاب السّر»، قسم «الزّوهار»): وهو «معلّق في مكان لا وجود له»، أي في «اللّامُتجلّي»، الذي تمثّله النّقطة القطبيّة بالنّسبة إلى عالمنا؛ كما يمكننا أن نقول إنّ توازن هذا العالم يقوم على هذا «القطب» حقّا.

(223) - «الدّبّ الأكبر»، في الهند، هو «سابتا-ريكشا» sapta-riksha، أي المقام الرّمزيّ لـ«رَيشي» السّبعة؛ ويتّفق هذا الأمر مع التّقليد القطبيّ طبيعيّا، بينما تمّ، في التّقليد الأطلنطيّ، استبدال «الدّبّ القطبيّ» في هذا الدّور بالثُّريّا التي تتكوّن أيضا من سبعة نجوم؛ كما نعلم أنّ نجوم «الثّريّا» لدى الإغريق مثّلت بنات «أطلس»، ولذلك تسمّى بالأطلسيّات أيضا.

(224) - من الغريب أن نلاحظ أيضا، في ما يتعلّق بما قلنا سابقا حول التّشابه الصّوتيّ بين «ميرو» و«ميروس»، أن «الدّبّ الأكبر» كان يسمّى، لدى الفراعنة، بكوكبة «الفخذ».

(225) - تمثّل «شفيطا-دويب» أحد الأقسام من ثمانية عشر قسما من «جامبو-دويب» Jambu-dwîpa.

(226) - يذكّرنا هذا الأمر، أيضا، بـ«جزر الثّروة» في العصور الغربيّة القديمة؛ غير أنّ هذه الجزر كانت تقع في الغرب (حديقة «الهسبريديات» Hespérides: «تعني هسبر» hesper في الإغريقية، و«فسبر» vesper في اللاتينيّة المساء، أي «الغرب»)، وهو ما يشير إلى كونه تقليدا من أصل أطلنطيّ، ربّما يجعلنا، من ناحية أخرى، نفكّر في «السّماء الغربيّة» للتّقليد التّيبتيّ أيضا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(227) - أطلق اسم «جزيرة الأتقياء»، كما اسم «الجزيرة الخضراء»، على «إيرلندا» لاحقا، وكذلك على «إنجلترا». وتجدر الإشارة أيضا إلى اسم جزيرة «هيليغولاند» Héligoland يملك الدلالة نفسها.

(228) - أشرنا سابقا إلى تقاليد مشابهة تتعلّق بالفردوس الأرضيّ. وتشتهر «الجزيرة الخضراء» و«الجبل الأبيض» في الرّوحانيّة الإسلاميّة، وإن كنّا لا نتحدّث عنهما كثيرا في الخارج.

(229) - نعثر مرّة أخرى، هنا، على الألوان الباطنيّة الثلاثة: الأخضر والأبيض والأحمر، التي تحدّثنا عنها في «روحانيّة دانتي».

(230) - ومن ناحية أخرى، يتعلّق الأمر، أحيانا، بحزام من ألوان قوس قزح، يمكن مقارنته بوشاح «إيريس» Iris؛ وقد لمّح «سان-إيف» في «مهمّته إلى الهند» إلى ذلك، ويوجد الأمر نفسه في رؤى «آن كاترين إميريش». – وسوف نعلّق على ما قلناه سابقا حول رمزيّة قوس قزح، وكذلك الـ«دويب» السّبع.

(231) - وفضلا عن ذلك، تُقارَن الكلمة اللّاتينيّة «ألبوس» albus، «أبيض» بالكلمة العبريّة «لَبَن» laban، التي تملك المعنى نفسه، والتي يُستخدم المؤنّث منها «لُبَنَاه» Lebanah في تعيين «القمر»؛ ويمكن أن تدلّ كلمة «لونا» Luna، في اللّاتينيّة، على «البياض» و«الإشراق» في الوقت نفسه، باعتبارهما فكرتين مترابطتين.

(232) - لا يوجد بين الصّفة «أرغوس» Argos، «أبيض»، واسم المدينة، إلّا اختلاف في النّبر بسيط؛ فاسم المدينة اسم محايد، ويكون هذا الاسم نفسه في المذكّر اسما لـ«أرغوس» Argus. ويمكننا، أيضا، أن نفكّر في سفينة «أرغو» Argo (يقال إنّ «أرغوس» بناها واتّخذ صاريها من خشب بلوط غابة «دودون» Dodone)؛ وفي هذه الحالة الأخيرة، يمكن أن تدلّ الكلمة، أيضا، على صفة «سريعة»، باعتبار السّرعة من صفات الضّوء (خاصّة البرق)، بيد أنّ المعنى الأوّل هو «البياض»، ويتبعه «اللّمعان». – ويُشتقّ من الكلمة نفسها اسم الفضّة أيضا، وهو المعدن الأبيض الذي يتلاءم مع القمر فلكيّا؛ فمن الواضح أنّ لكلمتي «أرجنتوم» Argentum اللّاتينيّة و«أرغوروس» Arguros الإغريقيّة جذرا متطابقا.

Telegram:@mbooks90

(233) - يقول «شانكراشاريا» Shankarâchârya (أطما-بوذا Âtmâ-Bodha):
«يتّحد «اليوغي» Yogî، مع حالة «الهدوء» بعد عبور بحر الأهواء، ويمتلك «الذّات» في كمالها». وتدلّ «الأهواء»، هنا، على كل التّغيّرات العرضيّة والعابرة التي تُكوّن «تيّار الأشكال»: إنّه مجال «المياه السّفليّة»، تبعا للرّمزيّة المشتركة لكلّ التّقاليد. ولهذا السّبب،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتمّ تمثيل الظّفر بـ«السّلام العظيم» بصورة إبحار (وهو أحد الأسباب التي جعلت القارب يمثّل الكنيسة في الرّمزيّة الكاثوليكيّة)؛ كما يتمّ تمثيله أحيانا بصورة حرب، ويمكن أن نفهم «البهاغفاد-غيتا» Bhagavad-Gîtâ بهذا المعنى، وكذلك يمكن أن نشرح، من هذا المنظور، نظريّة «الحرب المقدّسة» (الجهاد) في العقيدة الإسلاميّة. – أضف إلى ذلك أنّ «المشي على الماء» يرمز إلى السّيطرة على عالم الأشكال والتّغيّرات: فـ«فيشنو» Vishnu يسمّى بـ«ناريان» Nârâyana، أي «الشّخص الذي يمشي على الماء»؛ وهو ما يفرض مقاربة مع «الإنجيل» الذي نجد فيه، بالتّحديد، «المسيح» ماشيا على المياه.

(234) - بناء على التعبير الذي يقتبسه «سان-إيف» من رمزيّة «الطّارو» Tarot، فإنّ المركز الأعلى بين المراكز الأخرى كـ«الصّفر المغلق في العلامات السرّيّة الاثنتين والعشرين».

(235) - يبدو أن محاورة «تيماوس» le Timée لأفلاطون تضمّنت بعض التّلميحات إلى العلم المعنيّ على نحو خفيّ.

(236) - سنتذكّر، هنا، ما قلنا في رتبة «الحبر»؛ ومن ناحية أخرى، احتفظت الماسونيّة الحديثة بعبارة «الفنّ الملكيّ».

(237) - كان «يانوس»، عند الرّومان، إله مُسارّة «الأسرار» وعُصبة الحرفيّين (Collegia fabrorum) في الوقت نفسه؛ وتوجد، في هذا الإسناد المزدوج، حقيقةٌ ذات دلالة خاصّة.

(238) - سنستشهد، على سبيل المثال، برمز «امفيوس» الذي يقيم جدران «طيبة» بأصوات غيتاره؛ وسنرى لاحقا ما يشير إليه اسم هذه المدينة، «طيبة» Thèbes. ونحن نعلم مدى أهمّية «الغيتار» في «الأورفيّة» l'Orphisme و«الفيثاغوريّة» le Pythagorisme؛ وتجدر الإشارة إلى أنّ الآلات الموسيقية التي تضطلع بدور مشابه في التّقليد الصّينيّ غالبا ما تكون موضع تساؤل، ومن الواضح أنّ ما يُقال فيها ينبغي أن يتمّ تلقّيه رمزيّا.

(239) - أمّا بالنّسبة إلى الأسماء، فسنتمكّن من إيجاد بعض الأمثلة في ما سبق، خاصّة في تلك المتعلّقة بفكرة البياض، وسوف نشير إلى بعض الأمثلة الأخرى أيضا. وربّما يوجد، أيضا، الكثير ممّا يقال حول الأشياء المقدّسة التي ارتبطت بها قوّة المدينة وحتّى المحافظة عليها في بعض الحالات: من قبيل «بالاديوم» Palladium طروادة؛ وكذلك دروع «الصّاليانيّين» Saliens (التي قيل إنّها اتّخذت من نيزك في زمن «نوما» Numa؛ وكان تجمّع «الصّاليانيّين» يتكوّن من اثني عشر عضوا)؛ وكانت هذه الأشياء محاملَ «التّأثيرات الرّوحيّة» كـ«تابوت العهد» عند العبرانيّين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(240) - يعتبر اسم «مينوس» في حدّ ذاته إشارة كافية في هذ الصدد، مثل اسم «مينا» المتعلّق بمصر؛ وسنحيل، أيضا، بالنسبة إلى «روما»، إلى ما ذكرناه حول اسم «نوما»، وسنذكّر بدلالة اسم «شلوموه» Shlomoh، بالنسبة إلى «أورشليم». – وتجدر الإشارة، في ما يخصّ «كريت»، إلى استخدام بناة العصور الوسطى «لـالمتاهة» رمزا مميّزا؛ والغريب في الأمر أنّ مسار المتاهة المرسوم على بلاطات بعض الكنائس أعتبر بديلا عن الحجّ إلى الأرض المقدّسة بالنسبة إلى من لا يتمكّن من القيام به.

(241) -رأينا أيضا أن «دلفي» اضطلعت بهذا الدّور بالنسبة إلى اليونان؛ ويستدعي اسمها اسم «الدّلفين» ذا الرّمزيّة المهمّة جدّا. – ويوجد اسم آخر ملفت للانتباه، وهو اسم «بابل»: وتعني كلمة «باب-إيلو» Bab-Ilu «باب السّماء»، وهي إحدى الصّفات التي أسندها يعقوب إلى «لُوز»؛ كما يمكن أن تعني «بيت الله»، مثل «بيت-إيل» Beith-El؛ لكنّها أصبحت رديفا لـ«بلبلة» (Babel) عندما ضاع التّقليد: إذن انقلب الرّمز، وحلّ «باب الجحيم» Janua Inferni محلّ «باب السّماء» Janua Cœli.

(242) - تشبه هذه الحالة ما تمثّله «بيضة العالم» بالنسبة إلى دورة مّا. وتحتوي بذرتها كلّ الاحتمالات التي سوف تتطوّر أثناء الدّورة؛ وتحتوي «السّفينة»، أيضا، كلّ العناصر التي ستعمل على استعادة العالم، ومن ثمة، فهي بذور حالته المستقبليّة.

(243) - ما تزال إحدى وظائف «البابويّة» تتمثّل في ضمان العبور أو الانتقال التّقليديّ من دورة إلى أخرى؛ ويملك بناء «السّفينة»، هنا، المعنى نفسه لجسر رمزيّ، لأنّ كليهما يهدف إلى السّماح بـ«مرور المياه»، ولذلك دلالات متعدّدة أيضا.

(244) - سنلاحظ، أيضا، أنّ نوح هو أوّل من غرس العنب (Genèse, IX, 20)، وينبغي مقارنة هذا الحدث بما ذكرناه سابقا حول الدّلالة الرّمزيّة للخمرة ودورها في طقوس المُسارّة، لا سيما في ما يخصّ تضحية «ملكي-صادق».

(245) - يمكن أن تتعلّق إحدى الدّلالات التّاريخيّة للطّوفان التّوراتيّ بالكارثة التي اختفت فيها «أطلانتيد».

(246) - تنطبق الملاحظة نفسها، بشكل تلقائيّ، على كلّ التّقاليد الطّوفانيّة التي نصادفها عند عدد كبير من الشّعوب؛ ومنها ما يتعلّق بدورات خاصّة جدّا، كما هو الحال بالنسبة إلى طوفانيّ «الدّيكاليون» Deucalion و«أوجيجا» Ogygès الإغريقيّين.

(247) - Genèse, IX, 12-17.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(248) - يتوافق هذان النّصفان مع نصفي «بيضة العالم» كما تتوافق «المياه العلويّة» مع «المياه السّفليّة» بعضا مع بعض؛ وقد صار النّصف الأعلى، خلال فترة البلبلة، غير مرئيّ. وحينئذ، جَدَّ في النّصف السّفليّ، ما يسمّيه «فابر دوليفي» Fabre d'Olivet «ازدحام الأنواع». – ويمكن، أيضا، أن تُشبّه الصّورتان المتكاملتان المعنيّتان، من وجهة نظر معيّنة، بهلالين متقابلين (كأنّ أحدهما انعكاس للآخر ومتواز معه على أساس الخطّ الفاصل بين المياه)، وهو ما يشير إلى رمزيّة «يانوس»، لا سيما إنّ السّفينة تمثّل أحد شعاراته. ونلاحظ، أيضا، أنّ ضربا من التّكافؤ الرّمزيّ يوجد بين الهلال والكأس والسّفينة، وأنّ كلمة «vaisseau» تستخدم، في الوقت نفسه، لتعيين الاسمين الأخيرين، الكأس والسّفينة (تمثّل جماعة «سان فيسّال» Saint Vaissel إحدى الطّوائف المشهورة جدّا في العصر الوسيط).

(249) - مازال هذا المجال يسمّى «بيضة العالم»؛ ويوجد الفردوس الأرضيّ في المستوى الذي يقسمها إلى نصفين، علويّ وسفليّ، أي في الحدّ الفاصل بين السّماء والأرض.

(250) - يتّخذ «القباليون» لهذه الأنهار الأربعة الحروف الأربعة التي تشكّل كلمة «باردس» Pardes في العبريّة، وقد أشرنا، في مكان آخر، إلى علاقتها التّناظريّة بأنهار الجحيم الأربعة (L'Ésotérisme de Dante, éd. 1957, p. 63).

(251) - يُوافق هذا الاستبدال استبدال الرّمزيّة النّباتيّة بالرّمزيّة المعدنيّة، الذي أشرنا إلى دلالته في مكان آخر (L'Ésotérisme de Dante, éd. 1957, p. 67). – وبالطّبع، تُوافق أبواب «أورشليم» الاثنا عشر علامات البروج الاثنتي عشرة، فضلا عن قبائل «إسرائيل» الاثنتي عشرة؛ إذن، يتعلّق الأمر بتحوّل في دورة البروج، بعد توقّف دوران العالم وثباته في وضعيّة نهائية تمثّل استعادة للوضعيّة البدئيّة، في الوقت الذي تكتمل فيه التّجلّيات المتعاقبة للاحتمالات التي كانت تنطوي عليها. – إنّ «شجرة الحياة»، التي كانت في وسط الفردوس الأرضيّ، تقوم، أيضا، في وسط «أورشليم» السّماويّة، وتحمل، هنا، اثنتي عشرة فاكهة؛ وهذا الأمر لا يخلو من علاقة بالاثني عشر «أديتيا» Âdityas (أبناء الشّمس)، كما تتعلّق «شجرة الحياة» نفسها بـ«أديتي» Aditi (إلهة الشّمس)، الجوهر الواحد غير القابل للقسمة الذي تولّدوا منه.

(252) - يمكن القول إنّ الكرة والمكعّب يتّفقان، هنا، مع وجهتي النّظر الدّيناميكيّة والثّابتة على نحو متعاقب؛ ويتمّ توجيه جوانب المكعّب السّتّة حسب أبعاد الفضاء الثّلاثة، مثلما تُوجّهُ فروع الصّليب السّتّة المرسومة انطلاقا من مركز الكرة. – أمّا في ما يخصّ المكعّب، فسيكون من السّهل مقارنته بالرّمز الماسونيّ، «الحجر المكعّب»، الذي يتعلّق أيضا بفكرتي الإكمال والكمال، أي بتحقّقُ التّمكين المتضمّن في إحدى الحالات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(253) - توجد، من بين المدارس البوذيّة في اليابان، مدرسة «جيودو» Giôdô، التي يُترجم اسمها بـ«الأرض الصّافية»، وهذا يذكّر، من ناحية أخرى، بمذهب «إخوان الصّفاء» الإسلاميّ، ناهيك عن «الكاثاريّين» Cathares في العصور الوسطى الغربيّة، واسمهم يعني «الصّفاء». فضلا عن احتمال أن تكون لكلمة «صوفي» التي تشير إلى أهل الطّريقة من المسلمين (أو، بدقّة، أولئك الذين بلغوا نهاية المُسارة من مثل «اليوغيّين» في التّقليد الهندوسيّ) الدّلالة نفسها تماما؛ وفي الواقع، إنّ الحفر اللّغويّ المبتذل، الذي يجعل هذه الكلمة مشتقّة من «الصّوف» (الذي ربّما خِيط منه الثوب الذي يحمله الصّوفيّ) لا يكفي إلى حدّ كبير. ومن مساوئ التّفسير بكلمة «صوفوص» sophos الإغريقيّة، أي حكيم، على ما فيه من مقبولية كبيرة، أنّه يستدعي مصطلحا غريبا عن اللّغة العربيّة؛ لذلك نعتقد في وجوب التّسليم بالتّفسير الذي يجعل كلمة «صوفيّ» مشتقّة من كلمة «الصّفاء».

(254) - يوجد الوصف الرّمزيّ لهذه «الأرض الصّافية» في أواخر محاورة «فيدون» Phédon (traduction Mario Meunier, pp. 285-289)؛ وقد لاحظنا إمكانية إنشاء ضرب من التّوازي بين هذا الوصف والوصف الذي قدّمه «دانتي» حول «الفردوس» الأرضيّ (John Stewart, The Myths of Platon, pp. 101-113).

(255) - إضافة إلى أنّ العوالم المختلفة هي حالات بالذّات، وليست أماكن، رغم إمكانية وصفها رمزيّا على هذا النّحو؛ وتنطوي الكلمة السّنسكريتية «لوكا» loka، التي تُستخدم في تسميتها، والتي تتطابق مع كلمة «لوكيس» locus اللاتينيّة، في حدّ ذاتها على إشارة إلى هذه الرّمزيّة المكانيّة. وتوجد، أيضا، رمزيّة زمنيّة، تقضي بوصف هذه الحالات نفسها بشكل دورات متعاقبة، وإن لم يكن الزّمان وكذلك المكان، في الحقيقة، إلا شرطين خاصّين بدورة منها، على نحو لا يكون فيه التّعاقب هنا إلا صورة لتسلسل سببيّ.

(256) - يمكن مقارنة ذلك بتعدّد المعنى الذي يتمّ على أساسه تفسير النّصوص المقدّسة، والذي لا يتعارض ولا يدمّر بعضه بعضا، بل على العكس يتكامل ويتناغم في المعرفة البنائيّة المتكاملة. – ومن زاوية النّظر التي أشرنا إليها، توافق الوقائع التّاريخيّة رمزيّةً تاريخيّةً، وتوافق المواقع الجغرافيّة رمزيّة مكانيّة؛ كما يوجد بين الوقائع والمواقع رابطة أو تلازم ضروريّ، كما هو الحال بين الزّمان والمكان نفسيهما، ولذلك قد تتباين مواقع المركز الرّوحيّ حسب الفترات المنظورة.

(257) - جوزيف دو ماستر Joseph de Maistre (1753-1821)، سياسي وفيلسوف فرنسيّ(المترجم). «أمسيات «سان-بطرسبورغ» Soirées de Saint-Pétersbourg، المقابلة الحادية عشرة. - ولتجنّب كلّ مظهر من مظاهر التّناقض مع انقطاع النّبوءات التي أشرنا إليه سابقا، والتي سبق لـ«بلوتارخ» Plutarque أن لاحظه، لسنا في حاجة إلى الإشارة إلى أنّ «جوزيف دو ماستر» قد حمل كلمة «نبوءات» تلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على معنى واسع جدًا، كان يُسند إليها في الكلام الدارج غالبًا، وليس في المعنى الخاص والدقيق الذي تحمله في العصور القديمة.

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner